مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد 13

1447 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
فلسفة العدم في شعر أبي العلاء المعري	د. ريما الدياب	36-11
مساهمات البويهيين في دعم الحركة العلمية في العصر العباسي 350-380هجري/ 961-990 ميلادي	د. سمر يوسف حسن	68-37
أثرُ الزَّمن الفعلي في توجيهِ دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني	بكر عبد العزيزعبُّود أ.د. سمير معلوف أ.م.د. وصال الحميد	96-69
الدبلوماسية البريطانية ـ الفرنسية في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر(البعثات والمعاهدات أهدافها وبنودها ونتائجها)	سناء محمد يوسف د.علاء الدين بور د.ربيع عثمان	134-97
إيقاع القافية في الشعر المسرحي (قلائد الوفاء والفداء للدكتور غازي طليمات أنموذجاً)	عدن طيارة	168-135

فلسفة العدم في شعر أبي العلاء المعري

د. ريما الدياب

جامعة قاسيون الخاصة

- **ملخص البحث:**

أُطلق على أبي العلاء المعري تسمية فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة، لما أثر عنه من أقوال شعرية وافقت أهم القضايا التي اهتم فيها الفلاسفة على مر العصور، وكانت مسألة الوجود والعدم من أهم المسائل التي شغلته، فخصص جزءاً كبيراً من لزومياته للحديث عن هذه المسألة، وفي هذا البحث نريد تسليط الضوء على أقواله الشعرية المتصلة بالعدم على اعتباره خالف فيه علماء الدين، فقال إن العدم شيء، في حين أجمع العلماء وأصحاب الفقه على أنّه ليس بشيء، وللوقوف على أصول هذه الفكرة عند المعري كان لا بدّ من التطرق إلى جملة من الأفكار من أهمها ماهية العدم عند المعري، ووجودية العدم والمعدوم وعدمية الوجود وعدمية الزمان، مما يكشف لنا أصول نظرته إلى الوجود والعدم.

- **كلمات مفتاحية:**

(الوجــود – العــدم – المحض – الرؤيا – الخواء – الهباء – المــوت – الزمـن – الصراع – الغيب – الماهية – الصفات – النقص – الكمال).

- ملخص البحث باللغة الإنجليزية

- Research Summary: -

Abu al-Ala al-Ma'arri was called the "Philosopher of Poets" and the "Poet of Philosophers" due to his poetic pronouncements that addressed the most important issues of interest to philosophers throughout the ages. The question of existence and nonexistence was one of the most important issues that occupied his mind, and he devoted a large portion of his "Luzumiyat" to discussing this issue.

In this research, we want to shed light on his poetic sayings related to nothingness, considering that he differed with religious scholars in this regard, as he said that nothingness is a thing, while scholars and jurists agreed that it is nothing. In order to understand the origins of this idea in Al-Ma'arri, it was necessary to address a number of ideas such as clarifying the nature of nothingness in Al-Ma'arri's view, the existentialism of nothingness and the non-existent, the non-existence of existence, and the non-existence of time, which reveals to us the origins of his view of existence and nothingness.

Keywords: -

(Existence – Nothingness – Pure – Vision – Emptiness – Vain – Death – Time – Conflict – The Unseen – Essence – Attributes – Imperfection – Perfection)

المقدمة:

تتلخص رؤية المعري للوجود باعتباره صورة مرئية للعالم الحسي، تقابلها صورة باطنية أو مستترة متمثلة بالعدم، والغريب أن المعري كما بدا في شعره لا يرى صراعاً بينهما، بل يجد تكاملاً يفضي إلى تشكل الصورة الكونية للعالم عامة، من دون تضاد، وهذا ما يفرّق بين رؤيته الشعرية للعالم ورؤية الفلاسفة عامة، ومصدر تلك الرؤية عند المعري إنما هو تأمل أحوال الوجود الذي يؤول بالضرورة إلى العدم، والعدم عند المعري ليس هباء أو وليس شيئاً لا حقيقة له، بل هو وجود يؤول إلى وجود آخر، إذ يحتفظ بماهيته وببعده الموضوعي، فمثلاً حين يتكلم على حياة الإنسان يرى أنه سيعود إلى معدنه أو جوهره الذي وجد منه، وهو ما يعده الفلاسفة عدماً، بيد أن الطين والتراب عند المعري شيء له حيز واضح، وهو من ثم معدن الخلق، ومدرَك ، ولهذا لم يُبدِ قلقاً إزاء المصير؛ لأنه رأى في العدم استكمالاً لرحلة المرء في الوجود، وهو من ثم نهاية طبيعية للحياة، ومع عمق نظرته إلى حال الوجود وعلاقته بالعدم، إلا أنه لم يُبدِ تعلقاً بالوجود، أو الدفاع عن الحياة، وربما كان العدم عنده غاية يسعى إليها كل حي، دون أن يرى في الحياة ما يدخل البهجة إلى النفس، وعلى هذا النحو بدا الوجود عنده عبثياً، لا يستلزم الكفاح والعمل، فالناس يبنون الدور وهم يعلمون أن ديارهم هي القبور، ويتسابقون على جمع المال وهم يعلمون أن كل شيء زائل، فما نفع الصروح والعمائر والمال ما دام الإنسان سيرجع إلى معدنه الترابي، وعلى هذا النحو تتبدى رؤية المعري واضحة تمام الوضوح بشأن العلاقة بين الوجود والعدم، في حين تبدو العلاقة عند الفلاسفة أكثر التباساً، وقد يتأتى ذلك الالتباس من كثرة الأسئلة الفلسفية التي أثيرت حول الكيانات الغامضة، وتفصيل أنواع العدم ، والظواهر الغائبة عن الحس، والخواءات والنهايات، إذ برزت خلافات لدى الفلاسفة إزاء الشيء المنعدم والغائب، كما ظهر خلاف حول واقعية الوجود وغيبياته.

أما المعري فقد نظر إلى الوجود من خلال تأملاته أحوال الحياة والموت والزمن، وما شاكل ذلك لينتهي إلى أن الوجود محاصر بالعدم، وأن العدم هو نهاية كل شيء، وهو من ثم شيء يتمثل بالمعدن الذي خلق منه الإنسان وهو التراب.

الدراسات السابقة:

لقد تنوعت الدراسات التي تناولت البحث في قضية الفلسفة والعدم في شعر المعري ومنها كتاب النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، للدكتورة سناء خضر، ولقد اقتصر الكتاب على دراسة الرؤية الأخلاقية للمعري من خلال شعره ونثره ، ووقفت الباحثة عند المضمون الأخلاقي للذات عند المعري من خلال طرح قضية كيف يرى المعري الإنسان من منظور أخلاقي وخاصة في ظل العدمية والتشاؤم إلا أنها أغفلت رؤية المعري وفق فلسفة الوجود والعدم واكتفت في البحث بالقضايا الأخلاقية والعقلية[1]، أما كتاب الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، لتغريد زعيميان عالج مفاهيم أساسية عند المعري من أهمها العدم والشك والعقل ونقد الدين إلا أن الدراسة كانت تقتصر على إبراز نقاط التشابه والاختلاف بين الشاعرين في رؤيتهما للوجود والمغزى من الحياة، إذ خلطت الباحثة بين مفهومي التشاؤم والعدم دون تمييز واضح بينهما، ولم تقف الباحثة عند الظروف التي أثرت في الرؤية الفلسفية للمعري وبذلك لم تعن بمفهوم الوجود والعدم بدقة[2]، أما كتاب "أبي العلاء المعري – في سبيل موسوعة فلسفية" لمصطفى غالب، فكان جزءاً من سلسلة فلسفية تهدف إلى تقديم المعري وفق رؤية فلسفية بحيث يظهر فيلسوفاً ناقداً عقلانياً، وقد قارن بين المعري وأهم الفلاسفة مثل سقراط وديكارت، وتحدث عن العدمية وربطها بالتشاؤم في شعر المعري، كما أنه ربط كل تأمل شعري أو نقد اجتماعي بالفلسفة دون تمييز بين

[1]–ينظر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، د. سناء خضر– دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – 2000

[2] –ينظر: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، لتغريد زعيميان – الدار الثقافية للنشر – القاهرة 2002.

الأدب والفلسفة[3] ، ومما سبق نجد أن أغلب الدراسات السابقة أغفلت الجانب الفلسفي التحليلي لمفهوم العدم عند المعري الذي يمثل نظرة المعري الفلسفية المنوطة بالوجود ومن هنا تكمن أهمية البحث الذي تناول تحليل النصوص وفق رؤية المعري الفلسفية للوجود والعدم والزمان.

منهج البحث:

لقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم على تفكيك الشواهد الشعرية ومن ثم دراستها بأسلوب معمق، كما اعتمد البحث على المنهج الفلسفي التحليلي الذي يسهم في إجلاء الحقائق بصورة أكثر منطقية ووضوح.

ماهية العدم:

لم يتفق العلماء والفقهاء على رأي يبين ماهية العدم، فأقر الفقهاء بأن العدم ليس بشيء، على اعتبار العدم ليس بشيء في الخارج، وإنما كان له وجود في العلم لافتقاره إلى فاعل، ((فالعدم ليس هو شيء يفتقر إلى فاعل موجود، بل العدم ليس بشيء ، وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل ، لا أن عدم الفاعل يوجبه ويقتضيه، كما يوجب الفاعل المفعول الموجود، بل قد يضاف عدم المعلول إلى عدم العلة، وبينهما فرق، وذلك أن المفعول الموجود إنما خلقه وأبدعه الفاعل، وليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل، فإنه يفضي إلى التسلسل والدور، ولأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للآخر بأولى من العكس، فإنه ليس أحد العدمين مميزاً لحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلاً، وإن كان يعقل أن المقتضي صار العقل يضيف عدمه إلى عدمه إضافة لزومية ، لأن عدم الشيء إما أن يكون لعدم المقتضي أو لوجود المانع)) ([4]). ويفضي هذا الكلام أنه لا وجود للعدم في الواقع، وإن كان

[3]– ينظر: أبو العلاء المعري – في سبيل موسوعة فلسفية– د. مصطفى غالب– دار ومكتبة الهلال– بيروت 2000م.

[4] – مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، 2004 :16/14.

له وجود نظري في العلم أو في العقل، والسبب أن العدم لا يُعلَّل ولا يُعلِّل به([5])، لذا فالعدم ليس شيئاً وليس معنى، فقالوا بأن:((العدم ليس معنى ولا هو شيء، وتركُ الله تعالى للفعل ليس فعلاً البتة))([6])، ثم إن العدم ليس فعلاً من أفعال الخالق عز وجل: (ترك الله تعالى للفعل) أي العدم، من هنا انتفى عن العدم صفة الفعل، لأنه لا فاعل له كما قال ابن القيم لانتفاء وجوده الخارجي، يقول:((الشيء يكون شيئاً في الخارج أو في الذهن والعلم، وما ليس له حقيقة خارجية ، ولا ذهنية فليس بشيء، بل هو عدم صرف، ولا ريب أن العدم ليس بفعل فاعل ولا جعل جاعل))([7])، ويؤكد ابن القيم في كلامه أنّ العدم لا دليل على وجوده، لهذا سماه العدم الصرف أو المحض، وهو الذي لا فاعل له، لأن تأثير الفاعل إنما يتحقق في فعل وجودي، فإذا كان العدم ليس بشيء، لا يقال إنه مفعول لفاعل، ومن لا يقال أيضاً: إنّه من أفعال الله تعالى، لأن الفاعل لا يكون إلا في الأشياء الوجودية ([8])، وعليه فليست هناك في الرأي الفقهي ماهية للعدم ، يقول ابن أبي العز الحنفي:((نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود ولا فرق بين لا ماهية ولا وجود، وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة ، فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود))([9])، ووفقاً لهذا الاعتبار فإن القول بأن العدم شيء يقتضي أن يكون له ماهية ووجود، أمر خاطئ، لأن العدم ليس عالماً والعوالم إنما تطلق على الموجودات.

---

[5] – ينظر: المصدر السابق:17/14

[6] – ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، عرض ونقد، حمد بن ناصر الحمد ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم الفرى ، ط1، 1406هـ، ص:288.

[7]– مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت بلا تاريخ :202/2.

[8] – المصدر السابق: 203/2

[9] – شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988، ص:112

أما شيئية العدم فأقر بها العلماء والفلاسفة، إذ أشار سارتر إلى أن للعدم ماهية، مثلما للوجود ماهية العدم ، ففي كتابه" الوجود والعدم" الذي ظهر عام 1934، ذكر بأن العدم هو نفي الشيئية عما من شأنه أن يكون شيئاً، ولو لم يكن له ماهية لم ينف الشيئية، ((ثم إن العدم ليس هيكلاً من بين أشياء أخرى بل لحظة كائن، إنه حالة كل الهياكل وكل اللحظات))([10])، وكذا ذهب ابن سينا من قبله إلى أن العدم((ليس بذات موجودة على الإطلاق، ولا معدومة على الإطلاق، بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة))([11])، في حين رأى أصحاب الاعتزال أن العدم مجرد ذات، وهي عارية عن الوجود، وهي موجودة قبل كون العالم ووجوده بالفعل، فشيئية العدم أزلية وهي صفة ثابتة للعدم، وقد أطلق عليها ابن عربي تسمية (الأعيان الثانية) ويقصد بها خلو الشيء من أي وصف، لكنها قد تُوجد افتراضاً في الشيء، ولكنها ليست موجودة بالفعل([12]).

وتعدّ العدمية نظرية قائمة بنفسها في الفلسفة الإنسانيّة، ترتد أصولها إلى الفيلسوف اليوناني غورغياس الذي رأى بأن العدمية لا تشير أنّ العدم لا يعني شيئاً على الإطلاق، فهو ليس معدوم الماهية، إنّه شيء لكنّ الإنسان ليس بوسعه أن يدركه، أو يصف حقيقته للآخرين، أو كما يحس به هو، مع أن للعدم وجوداً وهو ما يشكل شيئية العدم التي تنكر الأخلاق، ذلك لأن للأخلاق وجوداً مستقلاً عن شيئية العدم ، فهي موجودة بذاتها، غير أن الناس هم من اخترع الأخلاق، التي هي في الأساس لا شيء، ولا بذات قيمة ، إنما اتفق الناس على صلاحيتها لضبط السلوك، من

[10] – الوجود والعدم ، جان بول سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ص:76.

[11] – موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مجموعة من المؤلفين، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ، ص:444

[12] – موسوعة المفاهيم ، ص:445.

هنا فهي غير متصلة بالعدم ، لأن العدم نقض والوجود إثبات، والسبب في ذلك أن العدم لا يوصف ([13]).

وجودية العدم:

لقد عبر المعري عن فكرة العدم في شعره من خلال تجربته في الحياة، وكانت تجربة مريرة عانى من خلالها آلاماً نجمت عن عاهته وفقره، فما كان منه إلا الانقضاب والعزلة وخوض تجربة مؤلمة جعلته على غاية التشاؤم من الوجود، فرأى في العدم وسيلة للخلاص من متاعب الحياة، يقول([14]):

لَقَدْ أَسفْتُ وماذا رَدّ لي أسفي لمّا تفكّرتُ في الأيام والقِدَمِ

في العُدم كُنا وحُكمُ الله أوجدنا ثم اتفقنا على ثانٍ من العَدمِ

سيان عامٌ ويومٌ في ذهابهما كأنّ ما دام ثمّ انبتَّ لم يَدُمِ

فالعدم كما يرى أصل الوجود (في العدم كنا) وهو سابق له، وبعد ولادة الإنسان يدخل في عدم ثان، ويقصد عبثية الوجود التي ستؤول إلى عدم، وبهذا المعنى لا يجوز الوجود أن يكون عدماً آنياً، يفضي إلى عدم سرمدي ، والدليل الذي يسوقه هنا هو مضي المخلوق بصورة سريعة يقطع من خلالها الحياة كلمح البصر، فالحياة جسر يعبر من خلاله الكائن إلى الموت والعدم، يقول([15]):

نَمرُّ سِراعاً بين عُدمين ما لنا لباثٌ كإنّا عابرونَ على جِسرِ

[13] – المرجع السابق، ص:446.

[14] – اللزوميات: 276/1

[15] – المصدر السابق: 176/1

والعدم عند المعري هو مآل وأصل، إنه بمنزلة الجد للولد، وهو من ثم شيء يمثله بأصل الخلق أي التراب، يقول([16]):

التُّرب جَدي وساعاتي ركائبُ لي والعيشُ سَيري وموتي راحةُ الجَسدِ

لقد خرج المعري عن تصورات الفقهاء للعدم، على اعتباره عندهم ليس بشيء([17])، واتبع في أقواله عن العدم ما ذهب إليه أهل الاعتزال أو الفلاسفة ، من أن العدم شيء، وهو مالم يقبله الفقهاء من أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، هذا غير معقول وغير سائغ ، فالعدم عند الفقهاء سمي عدماً لأنه لا يقبل الوصف أو لا وجود له في الوجود، وما هو ثابت لا يوصف بأنه عدم، ومن قال: ((إن المعدوم شيء ثابت في العدم راجع إلى أنهم يعتقدون أن الوجود كله إنما يكون من عناصر أولية يعبرون عنها بالعدم))([18])، والمعري بنى رأيه عن العدم والمعدوم على اعتبارهما شيئين ، مثل أن يكون الإنسان معدوماً وهو ذو شيئية ، يؤول إلى العدم وهو شيء أيضاً ، والعدم عنده هو الأصل الترابي، وهو رأي أقامه المعري على المخالفة، فالاعتقاد بشيئة العدم ينفي خلق العالم من لا شيء، يقول ([19]):

وَمَا زَالَ هَذا الجسمُ مُذْ فارقَ الثرى على تعبٍ حتّى أُعيدَ إلى الرِّمسِ([20])

---

[16] – المصدر السابق:250/1

[17] – مجموع الفتاوى لابن تيمية ،:16/14، كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ،:202/2.

[18]– شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ناصر بن عبد الكريم العقل، كتاب إلكتروني رابط: http://www.islamweb.net، ج7، ص:2، تاريخ الاطلاع: 2025/9/3.

[19] – اللزوميات:33/2

[20] ـ الرمس: القبر.

المعري هنا يحصر أنواع المعدوم بالبشر، ويحصر معدن البشر بالأصل الترابي، وهذا الاعتقاد ينفيه الباقلاني في قوله:((والمعدومُ منتفٍ ليس بشيء ، فمنه معلوم معدوم لم يوجد قط، ولا يصح أن يوجد وهو المحال الممتنع الذي ليس بشيء ، وهو القول المتناقض، نحو اجتماع الضدين، وكون الجسم في مكانين وما جرى مجرى ذلك مما لم يوجد قط ولا يوجد أبداً ، ومنه معدوم لم يوجد قط ولا يوجد أبداً))([21])، ولكن المخلوق ليس جسداً فحسب، بل هو جسد وروح، فإذا كان الجسد يؤول عند المعري إلى العدم أي الأصل الترابي، فما مصير الروح ؟ يقول([22]):

وَلِجسْمي إلى الترابِ هُبوطٌ ولروحي إلى الهواء صعودُ

وما بعد هبوط الجسم وتلاشيه في العدم ، وصعود الروح إلى الهواء، لا يخبرنا المعري عن البعث، يقول عمر فروخ:((إن المعري لم يقل ليس ثمة آخرة أو خلود، ولو أنه فعل ذلك لما كان فيلسوفاً ، ولا حكيماً ولا عالماً، ولكنه يقول ليس لدي ولا لدى غيري برهان على أن هناك حياة ثانية بعد الموت))([23])، وينفي طه حسين أن تكون فكرة غموض فكرة البعث أصيلة في فكر المعري، وإنما ترجع إلى تأثره بالديانات والفلسفات المختلفة، يقول: ((أكثر ما تأثر به المعري بما يقرأ من الديانات فمالت نفسه إلى الإيمان بالبعث، وما أكثر ما تأثر به أبو العلاء بما كان يقرأ من كتب بعض الفلاسفة فمال إلى التصديق بخلود النفس))([24])، ويلخص المعري رؤيته إزاء مآل النفس بعد الموت بقوله([25]):

النَّفسُ في العَالم العلويِّ مركزُها وليسَ في الجوِّ للأجسادِ مُزدرعُ

---

[21] – الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال العمرو، ص:271

[22] – اللزوميات:167/2

[23] – أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، عمر فروخ، ص:123

[24] – مع أبي العلاء في سجنه ، طه حسين، ص:35

[25] – اللزوميات: 243/2.

تفرّعَ النّاسُ عن أصلٍ به دَرَنٌ فالعالمونَ إذا ميَّزتَهُم شـــــرعُ

والجَـــدُّ آدمُ والمثوى أديمُ ثرىً وإن تخالفتِ الأهواءُ والشـــّرَعُ

فمقام الروح إنما هو السماء، وليس فيها مكان للجسد الذي يؤول إلى الثرى، من دون أن يوضح أن انفصال الروح عن الجسد أثناء الموت لا يعود بينهما وصال في الآخرة، مما يدل على أنه وقف عند عتبة العدم الذي ترجع فيه العناصر إلى أصلها، مثل أن يكون جوهر الروح سماوياً، وجوهر الجسد ترابياً، وأصل هذه الفكرة من تناصات المعري مع الفلسفات الأخرى ولا سيما الفلسفة الهندية التي تؤمن بأن الأرواح لا تفنى وهي فكرة التناسخ كما أشار البيروني:((أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية ، والإسبات علامة اليهود، وكذلك التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحلها لك لم يك منها، ولم يعد في جملتها))([26]) فالجسد يؤول إلى العدم، في حين الروح تتجسد في شيء آخر.

ومن الواضح أن ما اكتسبه من اطلاعه على عقائد الأمم وفلسفاتها قد طبع رؤيته بطابع عدمي، ويظهر ذلك بجلاء في حديثه عن الموت، إذ الموت وسيلة للخلاص، لذا نراه يتجرد كلياً من القلق والخوف من العدم، على اعتبار العدم الذي سيؤول إليه هو شيء وأصل ومعدن، والجسم عرض زائل لا بد أن يرجع إلى أصله، يقول([27]):

مرحباً بالموتِ والعيشُ دُجىً وحِمامُ المرءِ كالفجر سَطَعْ([28])

[26] – أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير، ص:62

[27] – اللزوميات:101/2

[28] – الجمام: ملء الإناء، والمراء كلية المرء.

ولم يكتف بتصوير بهجته بلقاء الموت أو العدم، بل تحدث عن ماهيته، فهو نوم طويل أو سبات لا يقظة بعده، والنوم موت آني لا يتعمق فيه الغياب والتلاشي، على اعتباره موتاً أو عدماً يتصل بوجود، يقول([29]):

الموتُ نومٌ طويلٌ مالهُ أمدٌ والنومُ موتٌ قصيرٌ فهو مُنجابُ([30])

فالكشف والانبعاث لدى المعري يتحقق في الموت القصير أو النوم، وهي فكرة ليست ببعيدة عن أذهان الفقهاء والمفسرين، فيقول ابن حجر: ((النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن، وذلك قد يكون ظاهراً ، وهو النوم، لذا قيل النوم أخو الموت، وباطناً هو الموت، فإطلاق الموت على النوم يكون مجازاً لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن))([31])، لكن انفصال الروح عن البدن في الموت أو في أثناء العدم فهو مثار أسئلة عنده، فلم يتبين بجلاء عن حقيقة البعث والآخرة، وكل ما هنالك أن اعتقاده بالجبرية رأى أن الموت فرض على الإنسان، طالما أن التراب أو الأرض لا تكف عن طلب الأجساد التي هي منها، يقول([32]):

والحتفُ كالثائرِ العاري يصرّعُنا والأرضُ تأكل هلّا تكتفي الضَّبُعُ

قد يظنّ القارئ أنّ المعري هنا يهاجم الموت، فيشبهه بالضبع، والحق أن هذا التشبيه ينم على عداوة بينهما، بل أرد هنا الافتراس والسطوة والقوة؛ إذ الموت قوة لا ترد، ولا يسلم منها حي، على أن المرء يعاني من أنواع مختلفة من الموت أو الافتراس، فمن هذه الجهة كان الفقر عنده موتاً، يقول([33]):

---

[29] – المصدر السابق: 99/1

[30] - منجان: منكشف.

[31] – فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز والخطيب، دار الفكر، بيروت:115/11

[32] – اللزوميات:1025/2

[33] – اللزوميات :607/2

والفَقْرُ موتٌ غيرَ أنَّ حليفَهُ يُرَّجى له بتموُّلٍ إنشارُ

ونراه مرة أخرى يتحدث عن الموت مع قسوته حديثاً فيه ود ومحبة، يقول([34]):

نفرّ من شُربِ كأسٍ وهي تتبعُنا كأنّنا لمناياها أحبّاءُ

وهذا معناه أنه مع جبرية الموت إلا أنّ هنالك محبة وألفة يعقدها المعري مع الموت أي مع العدم، فالعلاقة هنا بين المعدوم والعدم تقوم على الشيئية ، مثل أن يتحول الكائن من شيء إلى شيء، من مخلوق تجتمع فيه الروح بالجسد، إلى شيء ترابي ، يقول([35]):

إنْ يَقْربِ الموتُ منّي فذاكَ أمنعُ حِصْنِ

ويقول([36]):

فلستُ أكرهُ قربـــــَـه يصيّرُ القبرُ دربـــَـــهْ

أضحى يمارسُ جُربه في مُقفرِ الأرض عِربهْ

فالموت عنده يستحق المحبة والتقرب، لا الكره والنفور، ذلك لمزايا متعددة كامنة فيها، يقول([37]):

يدلُّ على فضلِ المماتِ وكونه إذا افترقت أجزاؤنا حطَّ ثِقلنا

فهذا من المعاني الطريفة التي رأى من خلالها الموت وهو يجمع أجزاء الإنسان بعد أن فرقتها الآفات في دنياه، وليس ذلك فحسب بل إنه يرى الحياة فيها ضيق، والموت متسع إلى ما لا

[34] – المصدر السابق:40/1

[35] – المصدر السابق: 1/ 152

[36] – المصدر السابق:154/1

[37] – المصدر السابق:85/1

نهاية، وفي الضيق نكد وعسرة، وفي السعة راحة وامتداد، يضاف إلى ذلك يحقق الموت وحدة بين المرء ومعدنه ليغدو جزءاً من العالم المادي، على اعتباره عدماً لا يتغير ولا يزول، وهو معنى أدخل في خلود الجسم في المعدن الترابي، يقول([38]):

والحالُ ضاقتْ عن ضمِّها جسدي ما أوسعَ الموتَ يستريحُ به الجسمُ

ونادراً ما جمع المعري في كلامه على الموت والفناء والعدم حديثه عن الروح، وهذا أمر طبيعي لأنّ إدراكه معنى العدم إنما يتصل بالحيز الجسماني المادي، دون الجانب الروحي وقد خلط الدارسون بين الأمرين، على نحو صوروا فيه تناقضاً وقع فيه المعري من جهة خوفه من الموت واستبشاره به في الوقت نفسه، فهو تارة يخاف من الموت وتارة أخرى يراه منقذاً ومخلصاً([39])، والواقع أن النظرة الوجودية التي تبدت من خلال الموت عند المعري إنما قامت على المآل الذي سيؤول إليه الجسد دون الروح، ومن هنا آمن بشيئية العدم، وهو اعتقاد مخالف لما ذهب إليه علماء الأصول، فالخلاص الذي ينشده المعري هو خلاص من الحياة ، لأن راحته إنما تتحقق في الموت، يقول([40]):

ما زال هذا الجسمُ مذ فارق الثرى على تعبٍ حتّى أُعيد إلى الرِّمس

وفي دلالة هذا البيت ما يكفي للدلالة على اعتقاده بقدم العدم، وأنه أصل، والوجود فرع، إذ في قوله (فارق الثرى) يعني بداية خلقه من التراب، ولم يذق في ذلك الوجود طعم الراحة والهناء، فظل يتحنن إلى عودة جسده إلى الأصل الترابي.

[38] – المصدر نفسه: 118/1

[39] – ينظر: النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، حماد أبو شاويش، دار إحياء العلوم، بيروت ط1، 1989، ص:185 وما بعدها.

[40]– اللزوميات: 897/2

وكما أن العدم شيء جامد لا روح فيه، كذلك المعدوم شيء لا يخضع إلى تغيرات المكان والزمان، فالميت حين يؤول إلى قبره يتحرر من تأثيرات المكان والزمان، ليغدو شيئاً يحتل حيزاً في العالم، فيكتسب من خلال اتحاده بالتراب سيرورة مستمدة من سيرورة العالم، ولكنه لم يقل بفناء العالم الذي هو عنده عدم محض، وشيء لا يقرر ببدايته ونهايته، إذ كل ما هنالك أن المعدوم مخلوق من عدم والعدم شيء له حيزه الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، وبهذا المعنى يمسي المعدوم جزءاً من المكان، يقول([41]):

أمّا المكانُ فثابتٌ لا ينطوي لكنْ زمانُك ذاهبُ لا يثبتُ

فثبات المكان مستمد من ثبات العدم، وثباته لا ينطوي بمعنى أنه ذو امتداد وسيرورة، أما الزمان فمتغير، ويريد الزمان الوجودي الذي يحيل الأشياء من حال إلى حال، فالزمن عامل تغيير وهو المسؤول عن دفع الموجودات إلى العدم، لتستقر في حيز ثابت لا يعتريه أي تغيير، وفي حال الانتقال إلى العدمية تنقطع الصلة بين الميت والمحيط الأرضي، يقول([42]):

هل يَشعرنَّ الميْت إنْ ظهر الثّرى بالحي زلازلُ

إن انقطاع الميت عن الوجود الحي، مفاده في فلسفة المعري التعبير عن القلق الذي ينجم من خلال الجدل بين الوجود والعدم، وهو هنا في تشكيكه بوجود مثل هذه الصلة ليس بمنأى عن الآراء التي صدرت عن الفرق كالرجعة مثلاً التي عرفت في الجاهلية وامتدت بعد الإسلام عند أصحاب الأهواء الذين قالوا: إن الميت يرجع إلى الحياة([43])، والمعري يرد على هؤلاء أنّ الميت يتحول إلى

---

[41] – المصدر السابق:251/1

[42] – اللزوميات: 1357/3

[43] – جاء في لسان العرب: وفي حديث ابن عباس، رضي الله عنهما: من كان له مال يُبَلِّغه حَجَّ بيتِ الله أَو تَجِب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأَل الرَّجعةَ عند الموت أَي سأَل أَن يُرَدّ إِلى الدنيا ليُحْسن العمل ويَسْتَدْرِك ما فات. والرَّجْعةُ: مذهب قوم من العرب في

عدم فتنقطع صلته بالحياة، وهذا من باب التجاوز والتشاؤم ليس غير، لأن البعث عقيدة وأساس إيماني راسخ.

عدمية الوجود:

يرى المعري في الوجود الدنيوي عدماً، وهو جزء من نظريته الكونية للعالم، وقد سمى الباحثون ذلك تشاؤماً، وهو ليس كذلك، لأن التشاؤم يخضع لاعتبارات نفسية كالإحباط والفشل، لذا فهو شعور يتوقع من خلاله المتشائم حدوث شر أو حزن نتيجة رؤية شيء معين أو سماع شيء ما([44])، وقد يمثل العدم عند المعري موقفاً من الوجود دعاه إلى محاربة الحياة، وعدم الاعتراف بجدواها، فهي وإن كانت موجودة فهي عدمٌ محض، تتراءى له صور كالسراب، قليلة اللبث، وسرعان ما تزول، لذا لم يرَ في التزاوج والتناسل فائدة، لأنّ العدم هو الذي سيطول كلّ موجود، يقول([45]):

أرى النسلَ دنيا للفتى لا يقالُهُ فلا تتكحنَّ الدّهرَ غيرَ عقيمِ

ويقول([46]):

وليتَ وليداً ماتَ ساعةَ وضعِهِ ولم يرتضعْ من أُمّه النُفَساءِ

الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فِرَق المسلمين من أُولي البِدَع والأَهْواء، يقولون: إن الميت يَرْجِعُ إلى الدنيا ويكون فيها حيّاً كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرَّافضة ..) لسان العرب، ابن منظور(م: رجع) :114/8.

[44] – ينظر: الآداب الشرعية ، ابن مفلح الحنبلي:357/3

[45] – اللزوميات:177/2

[46] – المصدر السابق:123/1

فالزواج والإنجاب هو عمارة الدنيا، ووسيلة لدوامها، والمعري لا يرى في ذلك جدوى، لأن الناس مفطورون على الفساد، وبوجودهم يتضاعف فساد الحياة، لذا عد الإنجاب جناية ، لأن الإنجاب يلقي بالوليد في أتون الشر والشقاء والمعاناة ، فكان أن حيّد نفسه في هذه المسألة، ولام أباه الذي جاء به إلى الحياة الشقية، في حين نأى بنفسه عن الزواج والإنجاب، يقول([47]):

هذا جناهُ عليّ أبي وما جنيتُ على أحد

وتبلغ الرؤيا العدمية أوجها في قصيدته المشهورة التي بدأها بقوله([48]):

غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمُ شادي

تلك الرؤيا تتمثل هنا بإزالة الحدود بين السعادة والشقاء، وفي ضوء هذه المسألة فلا فرق بين صوت الناعي وصوت البشير([49]):

وشبيهٌ صوت النَّعي إذا قيسَ بصوتِ البشير في كلّ نادِ

والسبب الذي يدعو إلى كل هذا الاستعداء أن الرحب قد امتلأت بالقبور، وهذا لا يعني أنها جمعت قبور الموتى جميعاً، بل من بقي لقبورهم رسوم([50]):

صاح هذي قبورنُا تملأ الرُّحبَ فأين القبورُ من عهدِ عادِ

والمفارقة أن القبر الواحد قد وسع رفات أموات مختلفين([51]):

---

[47] – المصدر السابق: 288/2.

[48] – سقط الزند ، المعري، ص:53.

[49] – المصدر نفسه ص:54

[50] – المصدر نفسه ص:54

[51] – المصدر نفسه ص:54

رُبّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحمِ الأضدادِ

وينتهي من كل ذلك ليجد أن الموت والعدم هو ما يريح الأجساد من عنائها([52]):

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ جسم فيها والعيش مثل السهاد

وبهذا تصطبغ رؤيا المعري بالعدمية، ومصدر هذه الرؤيا يرجع إلى حياة شقي بها، فهو وريث عاهة العمى، ثم ابتلي باليتم، وبعد ذلك حاصره مجتمعه على شدة فقره وضعف حيلته، فكان يصادر أفكاره ، ويرفض أشعاره، بسبب ما انطوت عليه من شك وحيرة وقلق، ثم إنه لم يمض في حدود ما قاله به الفقهاء وعلوم الدين، بل اتخذ لنفسه طريقاً يلتمس في ما قاله الفلاسفة، وما ذكره أصحاب الفرق، ولا سيما المعتزلة التي رفعت من شأن العقل، وهذا ما كان يناسب تطلع المعري إلى التفكير الحر والمعرفة غير المحدودة، فتغنى في شعره بالعقل وبمقدرته على تحصيل المعارف، غير متقيد بأي قيد، وهذه المشكلات ضاعفت من غربة المعري ومعاناته وعدميته فرأى في إعمار الدنيا تشويهاً لطبيعة العالم، والإقبال على الملذات انتهاكاً للمخلوقات ، فحرّم على نفسه أكل لحم الحيوان، وآثر الانطواء والعزلة في منزله، فعانى من محبسين العمى والمنزل، ومن هنا بدت صلته بحركة الحياة ضعيفة، فأثنى على العدم وسعى إلى الموت سعياً حثيثاً لاعتقاده بأن الموت سبات سرمدي ينصهر فيه الجسد في أصله الترابي.

ومن ظواهر رؤيته العدمية نظرته إلى الطبيعة البشرية نظرة مستقلة عن النظر الديني، فكان أقرب إلى الفلاسفة العقليين الذين قدموا انتقادات مختلفة للواقع الإنساني، ولطبيعته الهشة القائمة على الفساد وقبح الطباع والشر، فكل الناس عنده في الشر والقبح سواء، وربما تفاوتوا في الفقر والغنى والجمال والقبح لكنهم محكومون بفساد الفطرة ولؤم الغريزة وفساد الطبيعة، يقول([53]):

إن مازتِ الناسَ أخلاقٌ يُعاشُ بها فإنّهم عندَ سوءِ الطبعِ أسواءُ

[52] – المصدر نفسه ص:54

[53] – اللزوميات: 154/2.

والطريف أنه كان يعتقد أن فساد الطبيعة البشرية قضاء من الله تعالى ، وقد امتحنهم في هذا ليجعل الدنيا جيفة يتنازعون على نهشها كالكلاب، يقول([54]):

رأيتُ قضاءَ الله أوجبَ خلقَهُ وعاد عليهم في تعرّفـــــِــــه سَلبا

وقد غلبَ الأحياءَ في كلّ وجهةٍ هواهم وإن كانوا غطارفةً غُلبا([55])

كلابٌ تعادتْ أو تعاوتْ لجيفةٍ وأحسبُني أصبحتُ ألأمَها كلبــا

والناس الذين يصفهم بالفساد لا ينتمون إلى مكان أو زمان معينين، بل توجه في هذا الوصف متناولاً البشر جميعهم مع اختلاف أجناسهم وألوانهم ومجتمعاتهم، فهؤلاء ديدنهم الظلم وحب القتل، يقول([56]):

إذا كشفتَ أجناس البرايا وجدتَ العالمين ذوي عيوب

ذنوبُهُمُ كثيراتُ المَخازي لما فقدوه من نُصحِ الجيوبِ

وتشف نظرة المعري العدمية إلى الطبيعة البشرية عن موقف يرى من خلاله أن الآفات الأخلاقية والرذائل السلوكية للنّاس جميعاً، تلغي معنى وجودهم، وتدفعهم إلى الهلاك والفناء والعدم، في حين سكت عن فضائل الناس، أو أنّه رأى فيها صوراً لا حقيقة لها، طالما أنّ الرياء والكذب والقتل والفساد صفة للسلوك البشري في كلّ زمان، فهذا الوجود الكامن في الفضيلة ليس بشيء عنده، في حين رأى في مفاسد الخلق عاملاً للفناء والعدم، فتراءى له العدم كاماً في الوجود السلبي للبشر، وتركيزه على رذائل السلوك إنما أراد إظهار الحركة نحو العدم، على اعتبار الرذائل بالفعل تدفع إلى انهيار المجتمعات وزوالها، فالفساد الذي عناه

[54] – المصدر السابق: 129/2

[55] – الغطارفة: الأبطال.

[56] – اللزوميات: 167/1

المعري لا يقتصر على مفاسد الطباع أو الأخلاق بل يشمل الفساد الاجتماعي المتمثل بانحلال العلاقات الاجتماعية ([57]).

عدمية الزمان:

للزمان عند الفلاسفة اليونانيين صفة الديمومة التي تتحرك وفق شكل دائري، يتكرر باستمرار، أما علماء اليهودية فقد تصوروا أن حركة الزمان مستقيمة ومستمرة، لا يعود على نفسه أبداً، ولا يتكرر، وله ثلاثة آنات: الماضي والحاضر والمستقبل، وبعض هذه الأزمنة ذو تقدير مختلف فيه ، إذ الآن الحاضر عند الفلاسفة اليونانيين يشتمل على الوجود كله، في حين أن الزمن المجوسي –كما قال_شبنجلر– يتغلب فيه "الآن" الماضي والمستقبل على "الآن" الحاضر، وهو ما يشير إلى التشابه بين الزمن اليهودي والمجوسي حيث يستغرق حاضرهم بالماضي([58])، ويرى الدارسون أن كلّ ما تفتق عن الذهن البشري من تصورات إزاء الزمن لا تخرج عن هذين الزمانين: الدائري والمستقيم، وقد التقى هذان الزمانان في المسيحية والإسلام، فنفر من المسلمين قال: إن العالم ليس قديماً ولا أبدياً، بل هو رحلة زمنية محدودة لأن الزمن بدأ بالخلق وسينتهي بالعدم، فالزمن جزء من الوجود أو هو عنصر من عناصره ، وعليه فإنّه سيفنى بفنائه، وقد وجد العالم وفق مراحل زمنية متتابعة ، ولم يوجد دفعة واحدة، وهو أمر رده الأشاعرة إلى حرية الخالق، تلك الحرية التي يحدها شيء؛ لأنها لا تنجم عن بواعث أو تخضع لقوانين، فهي تخلق الجواهر المفردة بما لها من صفات، ثم تعدمها، فتسبب كل ما في الكون من حركة وتغيير([59]).

---

[57] – ينظر: ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1989، ص:17.

[58] – ينظر: أبو العلاء المعري ومشكلة الزمان، إبراهيم شكر الله ، مجلة الأديب ، العدد:1، إصدار يناير 1954، ص:12

[59] – ينظر: أبو العلاء المعري ومشكلة الزمان، إبراهيم شكر الله، ص:12

كان المعري قد جعل من الزمان موضوعاً داخلاً في تأملاته الوجود، وقد أثار أسئلة عميقة حول طبيعة الزمان وأثره في مجريات الحياة البشرية ، فلاحظ أنّ الزمن قوة مهيمنة تتحكم في مصائر الخلق، لا بل هو قوة تدفع إلى الفناء والعدم، وهو من ثم ظاهرة حتمية لا يمكن للإنسان تجاوزها، فالزمن نهر جار لا يمكن إيقافه ، متخيلاً أن له امتداداً خطياً مستقيماً لا يعود آخره على أوله، وهذه الفكرة وجد أساس لها عند المفكرين اليهود الذين رأوا أن للزمان امتداداً مستقيماً([60])، بيد أن أهم ما انفرد به المعري إزاء طبيعة الزمان أنه ذو طبيعة مادية، وأنه عنصر قديم في الوجود، يقول([61]):

قلتم لنا خالقٌ حكيمٌ قلنا صدقتم كذا نقولُ

زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولـــــــوا

هذا كلامٌ له خبيءٌ معناه ليستْ لنا عقولُ

لقد كان هذا الشاهد باباً للطعن في عقيدة أبي العلاء، بسبب تعيينه المكان والزمان للذات الإلهية، وذكر الفخر الرازي أن البيت الثاني ليس من شعر المعري إذ وقف على نسختين من هذا الكتاب ، فلم يجده، ولعل العبارة أصابها تحريف عند صاحب المعاهد ، فتوهم منها ما ذكره، ثم علق على بيت المعري(زعمتموه بلا مكان...) فقال:((إن كل ما يصدق عليه كان ويكون فهو متجدد متغير ، فنقول المراد من قولنا كان ويكون استمراره في الأزمنة الآتية والأزمنة الماضية، من غير أن يكون متغيراً بحسب تغير هذه الأزمنة، وهذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذي نوره الله تعالى بنور هدايته، وقد أحسن أبو العلاء في قوله :

وقد كذبَ الذي يغدو بعقلٍ لتصحيحِ الشروعِ وقد مرضنه

[60] – ينظر: ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1989، ص:17.

[61] – اللزوميات: 297/3.

الشروع جمع شرع، فقال بعض الفضلاء مرض الشرائع أن تُخفي أسبابها، فلا يوقف على حقائقها، فيظن الناظر فيها أنها فاسدة، وإنما الفاسد عقله... وبعد فليس في كلام أبي العلاء ما يوهم نقصاً في حق الخالق سبحانه وتعالى))([62]).

والحق أن ما قاله الرازي عن أبي العلاء لا يدفع عنه ما اتهم به من تطاول وتجاوز نجم عن وثوقه بالعقل ومن ثم التعبير بحرية عن أفكار بدت عند كثير من الدارسين ضرباً من الانزياح المقصود عن الأفكار الدينية، إذ لم يقتصر في ثقافته كما قال د. طه حسين على الفكر الديني، بل توسع في الاطلاع على الأديان والفلسفات والعقائد المختلفة([63])، وكان من شأن ذلك تكوين رؤيا للعالم والكون اتسعت فيها مساحات القلق، وكان قلقه يندرج تحت إطار العبث الفكري الذي لم يجرد له قواعد نظرية، كسائر الفلاسفة، بيد أنه كما قال طه حسين:((إن المسلمين لم يعهدوا بينهم في قديمهم وحديثهم فيلسوفاً مثله ، فقد جمع بين الفلسفة العلمية والعملية ، ثم بينهما وبين العلم واللغة ، وأبو العلاء هو الفيلسوف الفذ الذي التزم ما ألزم به نفسه في سيرته ولفظه، فحرّم الحيوان والتزم النبات وأبى الزواج والنسل وأراد اعتزال الناس))([64]).

وهذا كله يدخل تحت إطار ما عرف عن المعري من قلق وحيرة، توشحت به معظم أشعاره في اللزوميات على نحو خاص، تلك التي بينت التناقض بين العقل والواقع، فانحاز إلى العقل ، ونبذ الواقع، فاستسلم لضربين من الشكوك: الشكوك السلبية التي نجمت عن سوء ظنه بالناس، والشكوك الإيجابية التي تولدت لديه من خلال الشغف بالمعرفة، والسعي الحثيث وراء

---

[62] – الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ،د.ت :144/2.

[63] – ينظر مع أبي العلاء في سجنه، طه حسين، ص:188.

[64] – تجديد ذكرى أبي العلاء، طه حسين ، دار المعارف، ط6، القاهرة 1963، ص:210.

الحقائق، فمن هذا الجانب رفض معطيات الواقع الذي عاش فيه ، وقد استغنى عن معايشة ذلك الواقع ومصانعة الناس بقوة تفكيره ورجاحة عقلة وتوقد شاعريته ، فتخطى بذلك ظوهر الأشياء، ونفذ إلى جواهرها، فإذا به يجد نفسه مناصراً لقضايا الإنسان، فهاجم الظلم ووقف ضد الاستبداد ، يقول:([65])

وأميركمُ نالَ الإمارةَ بالخنا وتقيّكم بصلاته يتصيّد

وهذا الموقف لم يكن بمعزل عن موقفه من الوجود والعدم على أية حال، لأن العدل أساس الوجود والظلم هو أساس العدم، فجور الحاكم لم يكن إلا من باب الاستيلاء الجائر على الحكم، وهذا نظير الظلم، لأن العدل أن يختار الناس حاكمهم، ولا يرضون بظلمه وتجاوزه، وكذا المتدين المزيف الذي ينحرف بعبادته لتحقيق مصالحه، وفي ذلك خطورة أشار إليها المعري في غير ما موضع في شعره يقول:([66])

كذبٌ يُقال على المنابر دائماً أفلا يميدُ بما يُقالُ المنبرُ

وكلام المعري هنا في انتقاده ما يقال على المنابر جاء على الإطلاق، فالنظرة الشمولية لديه لا تستثني أحداً، وهو من باب النقد الأخلاقي، لأن الاتجار بالدين في عصره صار سمة دعته إلى الإعراض عما يقال عليها، التي أمست كما يقول منبراً لتحصيل الأتاوات:([67])

ولا تطيعنَّ قوماً ما ديانتُهم إلا احتيالٌ على أخذ الإتاوات

[65] – اللزوميات، ص:322

[66] – المصدر السابق: 426.

[67] – المصدر السابق: 411

ومن ظواهر تبرمه بالحياة والأحياء محاربته النسل، ومراجعته الأفكار التي تقول إن آدم واحد، بل نزع إلى الشك في ذلك فقال:([68])

وما آدمٌ في مذهبِ العقلِ واحد ولكنّه عندَ القياسِ أوادمُ

وهذا يفضي إلى أن المعري لم يعش خارج الزمن، ولم تكن شكوكه سلبية، وإنما تعامل مع ظواهر الحياة والكون تعاملاً عقلياً، وقد ميّز صوته الشعري من خلال ذلك الشك، فهو لم يخالف المعهود حباً بالمخالفة، وإنما استمع إلى نداء العقل، فعبّر عن انفعاله بالأفكار المتداولة في عصره، وكانت فكرتا الوجود والعدم من أهم المسائل التي حظيت باهتمامه.

نتائج البحث :

- لم يرَ المعري من خلال الدراسة السابقة أن العدم فناء بل هو وجود يفضي إلى وجود آخر.
- خالف المعري رؤية الفلاسفة والباحثين للوجود، فلم يتعلق بالوجود، ورأى أن الوجود محاصر بالعدم.
- مثّل العدم عند المعري وسيلة للخلاص من الوجود، بعد أن حاول المعري فك لغز الوجود، وقد اعتزل الناس ليخلو إلى فكره، وقيّد شهواته، وتبرّم بالناس لعدم التطابق بين القول والفعل، فلاحظ فساد الطبيعة البشرية التي تقوم على لؤم الطباع وفساد الفطرة، ثم اهتمّ بظواهر الحياة والكون فلاحظ أنّ الحياة محاصرة بالموت، وأنّ مصير الأحياء إنّما هو العدم.
- مثّل العدم في شعر المعري أصل الوجود ، فكلّ شيء يعود إلى ذلك الأصل، على أنّ في الوجود عدماً كامناً تمثله بفساد الطباع وحب الشهوات والقتل، وكان ذلك من مؤشرات الفناء،

[68] – اللزوميات:522.

لذا دعا إلى ترك الملذات ونبذ البناء وتجنب العمل وحارب النسل وغير ذلك، وهذا كلّه إنّما طبع رؤاه بطابع العدمية العبثية التي ترى في العدم شيئاً يحتل حيزاً ثابتاً في المكان.

- خالف المعري بمفهومه الفلسفي مفهوم الموت والحياة، فالموت عدم لا يتغير ولا يزول، فهو الخلاص والراحة الأبدية.
- خالف المعري رؤية الفقهاء للعدم بأنّه ليس بشيء وأثبت أنّ العدم هو الأصل .
- المعدوم مخلوق من العدم، والعدم لا يتغير ولا يتبدل لأنّه الأصل والثبات.
- الوجود الدنيوي عدم محض في نظر المعري سرعان ما يزول، لأنّ العدم يكمن في الوجود السلبي للبشر، وهو منوط بالآفات الأخلاقية التي تودي إلى الفناء والعدم.
- الزمان عنصر من عناصر الوجود، فهو متغير ويؤول كسائر عناصر الوجود إلى العدم.
- **المصادر والمراجع:**

– الآداب الشرعية الكبرى ، ابن مفلح الحنبلي، تحقيق: عبد الله حامد سمبو ، نشر جامعة أم القرى، السعودية 1414هـ.
– الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، لتغريد زعيميان – الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2002م.
–أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم، عمر فروخ، منشورات دار الشروق الجديد، 1960
– أبو العلاء المعري ومشكلة الزمان، إبراهيم شكر الله ، مجلة الأديب ، العدد:1، إصدار يناير 1954.
– أبو العلاء المعري – في سبيل موسوعة فلسفية– د. مصطفى غالب– دار ومكتبة الهلال، بيروت 2000م.
– الأربعين في أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، د.ت
– أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير، دار المشرق، 1991.

– الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال العمرو، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، 1433هـ.
– ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، عرض ونقد، حمد بن ناصر الحمد ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم الفرى ، ط1، 1406هـ.
– تجديد ذكرى أبي العلاء، طه حسين ، دار المعارف، ط6، القاهرة 1963

– شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ناصر بن عبد الكريم العقل، كتاب إلكتروني رابط: http://www.islamweb.net، ج7، ص:2، تاريخ الاطلاع: 2025/9/3.

– شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988.
– فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز والخطيب، دار الفكر، بيروت
– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1993.
– اللزوميات، المعري، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1895.
– مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، 2004.
– مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية بيروت بلا تاريخ .
–مع أبي العلاء في سجنه ، طه حسين، دار المعارف، ط13، القاهرة ، د.ت.
– موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مجموعة من المؤلفين، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر
– ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1989.
–النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، د. سناء خضر– دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – 2000
– النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، حماد أبو شاويش، دار إحياء العلوم، بيروت ط1، 1989.
- الوجود والعدم ، جان بول سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت.

مساهمات البويهيين في دعم الحركة العلمية

في العصر العباسي 350-380هجري/ 961-990 ميلادي

*د. سمر يوسف حسن

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل مساهمة البويهيين في دعم الحركة العلمية خلال حقبة حرجة من تاريخ الدولة العباسية، تمتد من عام 350هـ / 961م إلى 380 هـ/990م، وهي الفترة التي شهدت ضعفاً في السلطة المركزية للخلافة في بغداد، وتصاعد نفوذ القوى المحلية في الأقاليم، إذ شهدت هذه المرحلة تحولاً جوهرياً في بنية الرعاية العلمية، حيث انتقل مركز الثقل من العاصمة إلى عواصم الأقاليم المتنافسة، مما أسهم في خلق نموذج فريد من اللامركزية في إدارة الشأن العلمي، وقد تميز دعم البويهيون بتنوعه وشموليته، حيث تجلى في صور متعددة شملت الجوانب المادية عبر توفير الرواتب والمنح السخية للعلماء، والجوانب المؤسسية من خلال إنشاء دور العلم والمكتبات والمدارس النظامية، والجوانب المعنوية المتمثلة في إكرام العلماء وتقدير مكانتهم الاجتماعية، كما أولى الحكام اهتماماً خاصاً برعاية حركة الترجمة والنقل العلمي بين الحضارات، إذ تم نقل التراث العلمي اليوناني والفارسي إلى العربية وإثراء المكتبة الإسلامية بإضافات نوعية، وقد أسفر هذا الدعم المتكامل عن الحفاظ على استمرارية الحركة العلمية

* دكتورة في جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)-كلية الآداب- قسم التاريخ- اختصاص: تاريخ العرب والإسلام.
Samarhasan053@gmail.com

وتطورها رغم التحديات السياسية التي واجهتها الخلافة العباسية، إذ ازدهرت مختلف فروع المعرفة من علوم الدين واللغة إلى الفلسفة والطب والكيمياء والفلك، مما يؤكد أن ازدهار العلم لا يرتبط بالضرورة بقوة السلطة المركزية، بل بإرادة الرعاة وقدرتهم على توظيف الموارد لخدمة المشروع الحضاري، وأن التحديات السياسية يمكن أن تتحول إلى فرص للنهضة العلمية عندما تتوفر الإرادة والرؤية الاستراتيجية.

الكلمات المفتاحية: الحركة العلمية، العصر العباسي، البويهيون، الرعاية العلمية، الترجمة العلمية.

The Buyids' contributions to supporting the scientific movement during the Abbasid era 350-380 H/ 961-990AD

* **Samar Yousef Hassan**

Abstract:

This research examines and analyzes the Buyid dynasty's contribution to supporting the scientific movement during a critical period in the history of the Abbasid state، extending from 350H /660 AD to 380H / 990AD. This period witnessed a weakening of the central authority of the Caliphate in Baghdad and the rise of local powers in the provinces. This period witnessed a fundamental shift in the structure of scientific patronage، as the center of gravity shifted from the capital to the capitals of the competing provinces، which contributed to the creation of a unique model of decentralization in the management of scientific affairs. The Buyid dynasty's support was distinguished by its diversity and comprehensiveness، as it was manifested in multiple forms، including material aspects through the provision of generous salaries and grants to scholars، institutional aspects through the establishment of educational institutions، libraries، and regular schools، and moral aspects represented by honoring scholars and appreciating their social status. The rulers also paid special attention to sponsoring the translation movement and scientific transfer between civilizations، as the Greek and Persian scientific heritage was transferred into Arabic and the Islamic library was enriched with qualitative additions. This integrated support resulted in maintaining the continuity and development of the scientific movement despite

* Doctor at the University of Latakia (formerly Tishreen University) - Faculty of Arts - Department of History - Specialization: History of the Arabs and Islam. Samarhasan053@gmail.com

political challenges. The Abbasid Caliphate faced challenges، as various branches of knowledge flourished، from religious sciences and linguistics to philosophy، medicine، chemistry، and astronomy. This confirms that the flourishing of science is not necessarily linked to the strength of the central authority، but rather to the will of patrons and their ability to utilize resources to serve the civilizational project. Political challenges can be transformed into opportunities for scientific renaissance when there is a strong will and strategic vision.

Keywords: Scientific movement، Abbasid era، Buyids، scientific patronage، scientific translation.

المقدمة:

إن دراسة التاريخ الإسلامي لا تقتصر على سرد الوقائع والأحداث السياسية والعسكرية فحسب، بل تمتد لتكشف عن المضامين الحضارية العميقة التي شكَّلت روح العصر، ومن أبرزها الحركة العلمية التي كانت ركيزة أساسية من ركائز الازدهار الفكري والحضاري، ويأتي هذا البحث ليتناول حقبة زمنية دقيقة ومفصلية في العصر العباسي، تمتد من عام 350 هـ/ 961م إلى 380 هـ/ 990م، وهي فترة شهدت تنافساً بين عدة مراكز قوى في العالم الإسلامي، مثل البويهيين في بغداد والعراق، والحمدانيين في حلب، والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، وفي خضم هذا التحول السياسي، برزت ظاهرة بالغة الأهمية، وهي ذلك الدور المحوري الذي اضطلع به البويهيون في رعاية العلوم وحماية العلماء، مما حال دون انطفاء جذوة المعرفة، بل وحقق لها استمرارية لافتة رغم ما اعترى الكيان السياسي من وهن.

لقد مثلت هذه الفترة نموذجاً فريداً لتكامل العلاقة بين السلطة والمعرفة، إذ أدرك الحكام والوزراء البويهيون، في الولايات المختلفة، أن شرعية حكمهم لا تقوم فقط على القوة العسكرية،

بل على إحياء مظاهر العمران والحضارة، وكانت رعاية العلم من أبرز هذه المظاهر، فلم يقتصر دعمهم على الجانب المادي ببناء المدارس ودور الحكمة والمكتبات العامرة فحسب، بل تجاوزه إلى تشجيع الترجمة من اللغات الأخرى، ورعاية المجالس العلمية والمناظرات، وتوفير المنح السخية للعلماء والأدباء، مما خلق بيئة محفزة على الإنتاج والإبداع في شتى صنوف المعرفة من علوم الدين واللغة، إلى الفلسفة والطب، مروراً بالكيمياء والرياضيات والفلك، وقد كان لهذا الدعم أثره البالغ في حفظ التراث العلمي الإسلامي وتطويره، وإعداد الأجيال اللاحقة التي ستسهم في نقل هذه المعارف إلى الآفاق.

وعليه، فإن هذا البحث يسعى إلى تسليط الضوء على هذه الظاهرة الثقافية البارزة، محاولاً الكشف عن الآليات التي اتبعها البويهيون في دعمهم للحركة العلمية، ومحللاً دوافعهم السياسية والثقافية والدينية وراء هذا الحضور الفاعل، كما سيعمل على رصد مظاهر هذا الدعم وآثاره المباشرة على المشهد العلمي في تلك الحقبة، من خلال استقراء المصادر التاريخية والأدبية المتنوعة، ساعياً لتقديم صورة متكاملة عن إسهامات هؤلاء الرجال الذين كانوا بمثابة القوة الدافعة والحامية للعلم في عصر كادت أن تغلب فيه سحائب الضعف السياسي على كل مظاهر الحياة، فكانوا بحق حماةً للفكر وأعلاماً للنهضة في زمن الاضطراب.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول حقبة تاريخية حرجة، إذ يسلط الضوء على استمرارية النشاط العلمي رغم ضعف السلطة المركزية للخلافة العباسية، كما يكشف عن الدور الحضاري للبويهيين الذي تجاوز الجانب السياسي إلى رعاية المعرفة، مما يحفظ التراث العلمي الإسلامي من الاندثار، كما يقدم البحث نموذجاً تاريخياً لتمويل العلم ورعايته من قبل النخب الحاكمة، وهو ما يمكن أن يكون مصدر إلهام للدراسات المعاصرة حول رعاية العلم.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الغايات، أبرزها: رصـــد مظاهر دعم البويهيون للحركة العلمية في تلك الفترة، وتحليل الدوافع الكامنة وراء هذا الدعم سواء كانت سياسية أو دينية أو ثقافية، كما يســـعى إلى تقييم الأثر الذي تركه هذا الدعم على الحركة العلمية من حيث كم الإنتاج العلمي ونوعيته، واستمرارية التواصل العلمي بين الأجيال.

مشكلة البحث:

تتمثل المشكلة الأساسية للبحث في محاولة الإجابة عن الإشكالية المركزية المتمثلة في ضعف السلطة السياسية المركزية للخلافة العباسية في بغداد خلال الفترة 350-380هـ/ 961-990م م وتزامن ذلك مع اســـتمرار الحركة العلمية بل وازدهارها في بعض الجوانب، وهذا يدفع إلى التساؤل عن كيفية حدوث هذه المعادلة، وما هو الدور الذي لعبه البويهيون في مختلف أقاليم الدولة العباسية لسد الفراغ الناتج عن ضعف الخلافة، والحفاظ على ديمومة النشاط العلمي.

السؤال الرئيسي:

كيف أســـهم البويهيون في دعم الحركة العلمية والحفاظ على اســـتمراريتها في العصـــر العباسي خلال الفترة من 350هـ/960م إلى 380 هـ/990م؟

الأسئلة الفرعية:

1. من هم أبرز الأمراء والوزراء البويهيون الذين برزوا في رعاية العلم في هذه الفترة، وما هي المناصب التي شغلوها والمناطق التي حكموها؟
2. ما هي مظاهر ودوافع دعم البويهيون للحركة العلمية (سياسية، دينية، ثقافية، شخصية)؟
3. ما هي الآليات والمجالات التي تم من خلالها تقديم هذا الدعم (بناء المدارس والمكتبات، رعاية العلماء مادياً، تشجيع الترجمة)؟

4. ما هو الأثر الملموس لهذا الدعم على الحركة العلمية من حيث الإنتاج الفكري والعلمي، وانتشار المؤسسات العلمية، وحركة الترجمة والتأليف؟

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث على مجموعة من المناهج العلمية التي تتناسب وطبيعة الموضوع، وهي:

1. المنهج التاريخي: وهو المنهج الأساسي، وسيعتمد على جمع البيانات والمعلومات من المصادر التاريخية الأصيلة، ثم نقدها خارجياً وداخلياً لتحقيق المرويات، ثم تحليل هذه المعلومات وتركيبها لتكوين رؤية تاريخية متكاملة.
2. المنهج التحليلي: سيتم استخدام هذا المنهج لتحليل دوافع البويهيون، وفهم الآليات التي اتبعوها في دعمهم، وتحليل النتائج والآثار المترتبة على هذا الدعم.
3. المنهج الوصفي: سيسهم هذا المنهج في وصف الحالة السياسية العامة للعصر، ووصف مظاهر الدعم المختلفة، ووصف الإنتاج العلمي الذي تم رعايته في تلك الفترة.

المبحث الأول: الإطار التاريخي والسياسي لدور البويهيون في رعاية العلم

تشكل الفترة الممتدة بين عامي 350 و380 للهجرة/961و990للميلادية منعطفاً حاسماً في مسار الدولة العباسية، حيث بلغت عملية التفكك السياسي ذروتها مع تحول الخلافة إلى رمز روحي تابع للقوى العسكرية المسيطرة، بينما انتقلت السلطة الفعلية إلى أمراء الأطراف ووزرائهم الذين أصبحوا يتحكمون بمقدرات الدولة ويتحولون إلى رعاة للحركة العلمية بدوافع

سياسية ومذهبية واقتصادية متشابكة، لقد مثل هذا العصر ظاهرة فريدة في التاريخ الإسلامي، إذ انتقلت مراكز الثقل الحضاري من العاصمة بغداد إلى عواصم الأقاليم المتنافسة، فشهدت حلب ازدهاراً ثقافياً تحت حكم سيف الدولة الحمداني[1]، بينما تحولت قرطبة في الأندلس إلى منارة علمية تزاحم بغداد تحت قيادة الخلفاء الأمويين، كما برزت القاهرة الفاطمية كقطب جذب للعلماء والمفكرين[2]، هذا الانتقال لم يكن مجرد تحول جغرافي، وإنما كان تحولاً نوعياً في بنية النظام السياسي والثقافي للدولة الإسلامية، إذ أدرك الحكام الجدد أن الشرعية السياسية لا تبنى بالسيوف وحدها، بل لابد لها من سند ثقافي يعزز مكانتهم في أعين الرعية ويميزهم عن خصومهم، وقد استند هذا التحول إلى خلفية دينية عميقة تجلت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي حثت على طلب العلم، مثل قوله تعالى: (هل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[3]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[4]، إلا أن الدوافع السياسية المباشرة كانت حاسمة في توجيه هذه الرعاية، فالبويهيون الذين سيطروا على بغداد عام

---

(1) سيف الدولة الحمداني: سيف الدولة الحمداني: أمير من بني حمدان، تولى حكم حلب عام 333 هـ/945م. اشتهر بشجاعته في قتال الروم، وبكرمه في رعاية الأدباء والعلماء، وكان أشهر من مدحه المتنبي. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 2000م، ج1، ص364.

(2) أيوب، أحمد بن سليمان ونخبة من الباحثين: موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، ج5، تح: سليمان الدريع، القاهرة ، دار إيلاف، الدولية للنشر والتوزيع، 2015م، ص233.

(3) سورة الزمر، الآية 9.

(4) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، ج1، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1952م، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم 224، ص81.

334هـ[1]، وجدوا في رعاية العلم وسيلة لتحقيق قبول اجتماعي، فأنشأوا دور العلم وخزائن الكتب، وارتبطت أسماؤهم برعاية الثقافة كأمثال عضد الدولة البويهي[2] الذي أسس البيمارستان العضدي في بغداد وجعله مركزاً للتعليم الطبي إلى جانب العلاج، وفي المقابل، استخدم الفاطميون في مصر الرعاية العلمية كأداة لتعزيز شرعيتهم السياسية والمذهبية، فأقاموا الجامع الأزهر الذي أصبح منارة للعلم والمعرفة[3]، بينما وظف الأمويون في الأندلس الرعاية الثقافية لتأكيد شرعيتهم في مواجهة الخلافة العباسية والفاطمية، فجعلوا من قرطبة عاصمة للعلم والثقافة تنافس بغداد وتتفوق عليها أحياناً، وقد تجلى التنافس بين هذه المراكز السياسية في مجال رعاية العلوم المختلفة، حيث اهتم كل حاكم بتطوير مجالات معرفية تخدم مشروعه السياسي والمذهبي، فبينما ركز البويهيون على علوم الفلسفة والمنطق والترجمة[4]، انصب اهتمام الحمدانيين في حلب على علوم اللغة والأدب والشعر، فيما اهتم الفاطميون بالعلوم الدينية الشيعية والباطنية، هذا التخصص

---

(1) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، مصر، دار المعارف، 1995م، ج5، ص481.

(2) هو عضد الدولة، الملقب بسلطان العالم، أبو شجاع محمد بن جغريبك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ملك بعد عمه، كان في آخر دولته من أعدل الناس، وأحسنهم سيرة، وأرغبهم في الجهاد ونصر الدين، وكان كريماً رحيماً توفي مقتولاً سنة 465 هـ/1073م. ينظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ،، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ج8، ص112؛ الثعالبي، عبد الملك بن محمد: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قمحية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ج2، ص216.

(3) الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، تح: جونهيلد جراف، اريكا جلاسِن، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1994، ج8، ص121.

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م، ج14، ص150.

الإقليمي أنتج تنوعاً منهجياً أثرى الحركة العلمية الإسلامية، إذ لم يعد الفكر الإسلامي متمركزاً في عاصمة واحدة، بل انتشر في مراكز متعددة، كل واحد منهم لديه خصائصه ومساهماته الخاصة، وقد انعكس هذا التنوع في المناهج العلمية والمدارس الفكرية التي ازدهرت في هذه الفترة، فتطور المنهج النقدي في الدراسات اللغوية، والمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، والمنهج المقارن في الدراسات الفقهية، ولا يمكن فهم هذه النهضة العلمية دون النظر إلى العامل الاقتصادي الذي مكن منها، فالأموال الطائلة التي جناها الأمراء والوزراء البويهيون من إدارة الأقاليم وفرت الموارد المالية الضرورية لتمويل المشاريع العلمية الضخمة، وقد تجلى هذا في إنشاء المكتبات العامة والخاصة التي ضمت مئات الآلاف من المجلدات، مثل مكتبة دار العلم التي أسسها الصاحب بن عباد[1]، في الري، والتي قيل إنها احتوت على أكثر من مائتي ألف مجلد[2]، ومكتبة ابن العميد[3] في الري التي كانت تضم أكثر من مائة ألف مجلد، كما تم إنشاء

---

[1] الصاحب بن عباد: إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس الطالقاني، وزير وعالم أدبي مشهور، يُعتبر أول من لُقب بالصاحب من الوزراء. اشتهر بمؤلفاته العديدة مثل "المحيط في اللغة" و "كتاب الأعياد". ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج8، ص569؛ أرسلان، شكيب: المختار من رسائل أبي اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ، بيروت، الدار التقدمية، 2010م، ص45.

[2] الهروي، محمد بن علي بن محمد النحوي: إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قُشاش، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،١٤٢٠هـ، ج1، ص69.

[3] ابن العميد: محمد بن الحسين العميد بن محمد، وزير من كبار الكتاب، كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، ولي الوزارة لركن الدولة البويهي، ومدحه كثير من الشعراء منهم

البيمارستانات التي جمعت بين العلاج والتعليم، وأوقفت عليها الأوقاف السخية لتغطية نفقاتها وتوفير الرواتب للأطباء والطلاب، هذا الاستثمار الضخم في البنية التحتية العلمية لم يكن ممكناً لولا النظام الاقتصادي المتطور الذي ورثته هذه الدول عن العباسيين، والقائم على الزراعة المتطورة والصناعة المزدهرة والتجارة الواسعة التي امتدت من الصين إلى أوروبا، وقد أسهم هذا الدعم في ظهور طبقة من العلماء الموسوعيين الذين تنقلوا بين هذه المراكز العلمية المختلفة، مستفيدين من التنوع المنهجي والثراء الثقافي، ومن أبرز هؤلاء أبو نصر الفارابي[1]، الذي انتقل من خراسان إلى بغداد ثم إلى حلب، وأبو الريحان البيروني[2]، الذي جاب مختلف أقاليم العالم الإسلامي، فهذا التنقل العلمي وفر تبادلاً معرفياً بين المراكز العلمية المختلفة، وساهم في تكوين رؤية شاملة للعلماء المسلمين، حيث لم يعودوا محصورين في مدرسة فكرية واحدة أو منهج علمي أحادي، كما كان للعامل المذهبي دور بالغ الأهمية في توجيه الرعاية العلمية، إذ سعى كل حاكم إلى نشر مذهبه عبر رعاية علمائه ودعم مؤسساته التعليمية، فالبويهيون أسسوا حلقات علمية اهتمت بتطوير العلوم الإسلامية بمختلف اتجاهاتها، بما في ذلك الفقه والفكر الشيعي الذي ينتمون إليه، بينما دعم الأمويون في الأندلس المذهب المالكي، وعمل الفاطميون على نشر

المتنبي، كان حسن السيرة والتدبير لأمور الملك، توفي سنة 360 هـ./970م ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1، ص213.

(1) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر، أكبر فلاسفة المسلمين والمعلم الثاني. كان موسوعي الثقافة، ومن أشهر مؤلفاته "آراء أهل المدينة الفاضلة" و "إحصاء العلوم". ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م، ج7، ص20.

(2) البيروني: محمد بن أحمد، أبو الريحان، عالم موسوعي من خوارزم برع في الرياضيات والتاريخ والجغرافيا. من أشهر مؤلفاته "تاريخ الهند" و"القانون المسعودي" و"الآثار الباقية عن القرون الخالية". ينظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ج6، ص308.

المذهب الإســـماعيلي، هذا التنافس المذهبي أدى إلى ازدهار العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، حيث أصبحت كل مدرسة مذهبية تطور أدلتها ومناهجها في الاستدلال، مما أثرى الحركة العلمية وأدى إلى تطور علم أصول الفقه والمناهج النقدية في دراسة الحديث[1].

وهكذا، فإن دراســة الإطار التاريخي والسـياسـي للفترة موضـوع الدراسـة، تكشـف عن نموذج فريد من التفاعل بين الســـياســـة والعلم، إذ اســـتطاع الأمراء والوزراء البويهيون تحويل الضـعف السـياسـي للخلافة إلى فرصـة لازدهار علمي غير مسـبوق، فقد أدرك هؤلاء الحكام أن الاسـتثمار في العلم هو اسـتثمار في الشـرعية السـياسـية، وأن الرعاية الثقافية هي الطريق الأمثل لتخليد الذكرى وبناء المكانة التاريخية، وهو ما يفسـر كيف اسـتمرت الحركة العلمية في الازدهار رغم الضـعف السـياسـي للخلافة، بل إن هذا الازدهار شـهد تنوعاً وانتشـاراً لم يحدث في عصـور القوة المركزية، مما يؤكد أن ازدهار العلم مرتبط بإرادة الســـياســـة وقدرتها على توظيف الموارد لخدمة المشـروع الحضـاري، وأن التحديات السـياسـية قد تتحول إلى فرص للنهضـة العلمية عندما تكون هناك إرادة حقيقية للاستثمار في المعرفة والإبداع[2].

لقد مثلت تلك الفترة مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ الحضـــارة الإســـلامية، حيث انتقلت زعامة الحركة العلمية من الخلفاء إلى الأمراء والوزراء البويهيون، مما خلق نموذجاً جديداً لرعاية العلم قائماً على اللامركزية والتنافس الإيجابي، ففي الوقت الذي كان الخليفة العباســـي في بغداد يعاني من ضـعف النفوذ وانحسـار السلطة، كان الأمراء في الأقاليم يتنافسـون على جذب العلماء

---

[1] الشـنقيطي، محمد بن محمد سـالم: لوامع الدرر في هتك أسـتار المختصـر، موريتانيا ، دار الرضوان، 2015م، ج1، ص39.

[2] التويجري، عبد العزيز بن عثمان: العالم الإسـلامي في عصـر العولمة، عمان، دار الشـروق للنشر والتوزيع، 2025م، ص80.

والفلاســـفة والأدباء إلى بلاطاتهم، مما خلق ديناميكية جديدة في الحركة العلمية، وقد تجلى هذا التنافس في العطايا الســـخية التي كان يقدمها الحكام للعلماء، حيث كان كل أمير يســـعى إلى التفوق على منافسيه من خلال رعاية أكبر عدد من العلماء وتأسيس أعظم المؤسسات العلمية ومثال ذلك شـــرف الدولة البويهي[1]، الذي اتبع نهج أســـلافه من حيث اهتمامه بالعلم واحترام العلماء والفقهاء، وكان يوليهم العطاء[2]، وهذا التنافس الإيجابي أسـهم في خلق بيئة علمية حية، حيث توفرت للعلماء حرية الاختيار بين مراكز العلم المختلفة، مما منحهم اســـتقلالية فكرية وموضـوعية علمية، كما كان للعامل الحضـاري والثقافي دور مهم في تشـكيل ملامح هذه الفترة، حيث اسـتفاد الأمراء والوزراء البويهيون من التراث الحضـاري المتراكم في الأقاليم المختلفة. ففي الأندلس، اســـتفاد الأمويون من التراث الحضـــاري الأندلســـي الممزوج بالتأثيرات الأوروبية والمغربية[3]، بينما اسـتفاد الفاطميون في مصـر من التراث الحضـاري الفرعوني والقبطي، فيما اسـتفاد البويهيون في بغداد من التراث الحضـاري الفارسـي والهندي، هذا التمازج الحضـاري أنتج تنوعاً ثقافياً أثرى الحركة العلمية، إذ ظهرت مدارس فكرية جديدة تجمع بين تيارات معرفية متنوعة، فانعكس هذا التنوع على المناهج العلمية والطرق التعليمية، حيث تطورت أساليب البحث العلمي وتنوعت مناهج التدريس بين المراكز العلمية المختلفة، ولا يمكن إغفال دور العامل

---

[1] شرف الدولة: أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة، الذي وسع نفوذه من كرمان ليحكم العراق وبلاد فارس، تميز عهده بإصـــلاح الدولة وتشـــجيع العلوم، حيث بنى مرصـــداً فلكياً وجمع العلماء حوله. ينظر: ابن تغري بردي، يوسـف بن تغري بردي بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب، د.ت، ج1، ص148-149.

[2] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج14، ص 310.

[3] القبج، عامر أحمد؛ ياسـين، معالي، الصـلات الثقافية بين الإمارة الأموية في الأندلس وبلاد المغرب والمشـرق 138-316هـــ/756-928م، مجلة جامعة النجاح، المجلد1، العدد33، 2019م، ص49-61.

الاجتماعي في تشكيل ملامح هذه الفترة، حيث شهد المجتمع الإسلامي تحولات عميقة في بنيته الطبقية والثقافية، فبروز طبقة العلماء والمفكرين كقوة اجتماعية مؤثرة دفع البويهيون إلى كسب تأييدها من خلال الرعاية العلمية، كما أن تطور الحياة الحضرية وازدهار المدن الإسلامية الكبرى مثل بغداد وقرطبة والقاهرة وحلب ونيسابور، خلق بيئة مناسبة لازدهار الحركة العلمية، حيث توفرت البنية التحتية اللازمة للتعليم والبحث العلمي، وقد تجلى هذا في انتشار المساجد الجامعة والمدارس المتخصصة والمكتبات العامة والخاصة، التي شكلت مجتمعة شبكة علمية متكاملة خدمت الحركة العلمية في العالم الإسلامي[1]، كما كان للعامل الدولي والإقليمي تأثيره على تطور الحركة العلمية في هذه الفترة، حيث شهد العالم الإسلامي تفاعلاً ثقافياً مع الحضارات المجاورة، ففي الشرق، استمر التبادل الثقافي مع الحضارة الهندية والصينية، بينما في الغرب، كان هناك تفاعل ثقافي مع الحضارة الأوروبية البيزنطية واللاتينية، هذا التفاعل الثقافي الدولي أتاح للعلماء المسلمين الاطلاع على آخر الإنجازات العلمية في الحضارات الأخرى، مما ساهم في إغناء الحركة العلمية الإسلامية وتطويرها[2]، وقد تجلى هذا في حركة الترجمة النشطة التي استمرت في هذه الفترة، حيث تم نقل العديد من المؤلفات العلمية والفلسفية من اللغات الأخرى إلى العربية، كما تمت ترجمة المؤلفات الإسلامية إلى لغات أخرى، وهكذا، يمكن القول إن الفترة من 350 –380 هجري/961– 990 للميلادي، مثلت عصراً ذهبياً للحركة العلمية في العالم الإسلامي، رغم أنها كانت فترة ضعف سياسي للخلافة العباسية، فاستطاع البويهيون تحويل

(1) غالب، وجدان جعفر، الحركة العلمية في المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد6، العدد1، 2024م، ص64-74.

(2) شابرا، محمد عمر: الحضارة الإسلامية أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، تر: محمد زهير السمهوري، فرجينيا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012م، ص141.

التحديات السياسية إلى فرص للنهضة العلمية، من خلال رعاية شاملة للحركة العلمية استندت إلى رؤية استراتيجية تجمع بين المصالح السياسية والمشروع الحضاري.

المبحث الثاني: مظاهر وآليات دعم البويهيون للحركة العلمية

تميزت مظاهر دعم البويهيون للحركة العلمية في العصر العباسي خلال الفترة 350 – 380 هجري/ 961– 990 للميلادي بتنوعها وشموليتها، مما أسهم في خلق نسيج متكامل من الرعاية التي لم تقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة، لقد شكل هذا الدعم منظومة متكاملة تجلت في صور متعددة، بدءاً من الدعم المادي المباشر الذي مثل حجر الأساس في استمرار الحركة العلمية، حيث قام الحكام والوزراء البويهيون بتوفير الإمكانات المالية السخية للعلماء، فكانوا يخصصون لهم الرواتب الثابتة والمنح المنتظمة ويلغون الضرائب، ويقدمون لهم الهبات والعطايا في المناسبات المختلفة[1]، وقد استند هذا النوع من الدعم إلى توجيهات الإسلام الحاثة على بذل المال في سبيل العلم، كما في قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)[2]، ولم يكن هذا الدعم المادي مجرد كرم عابر، بل كان استثماراً منهجياً في رأس المال البشري، إذ وفر للعلماء الاستقرار المعيشي الذي أطلق طاقاتهم الفكرية وأتاح لهم التفرغ الكامل للبحث والتأليف والتدريس، وقد برز في هذا المجال الأمير عز الدولة بختيار، إذ برز في عهده الاهتمام بالجانب اللغوي والمنطقي، وهو ما يتجلى من خلال حواراته مع العلماء والأدباء[3]، مما يعكس العلاقة الوثيقة التي ربطت بينه وبين تلك النخبة، كما أن

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج15، ص291.

[2] سورة الحديد، الآية 11.

[3] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م، ج26، ص137.

استيلاء الأمير عضد الدولة على خزائن أخيه عز الدولة بختيار بعد هزيمته، وما تحويه من أموال وجواهر، يُعد شاهدًا على اهتمامه بالعلوم والمعارف، إذ عثر ضمن تلك الخزائن على مكتبة ضخمة تضمنت ما يقارب خمسة عشر ألف مجلد، وقد أشار مسكويه إلى هذه المكتبة بوصفها دليلاً على ما أولاه الأمراء البويهيون من عناية بالعلم والأدب[1].

كما تجلى الدعم في إنشاء المؤسسات العلمية المتخصصة التي أصبحت مراكز إشعاع فكري وحضاري، فإلى جانب المدارس النظامية التي انتشرت لاحقاً، شهدت هذه الفترة تأسيس دور العلم والخزائن العلمية التي كانت بمثابة جامعات متكاملة الخدمات، ومن أبرز الأمثلة على ذلك "خزانة الحكمة"[2]، في القاهرة الفاطمية التي أصبحت واحدة من أعظم المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، حيث كانت تضم قاعات للمحاضرات والمناظرات، وغرفاً للسكن، ومكتبة شاملة لكل فروع المعرفة. وقد استلهم مؤسسو هذه الدور الحديث النبوي الشريف: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[3]،

---

[1] مسكويه، أبو علي الرازي: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، طهران، دار سروش، الطبعة الثانية، 2000م، ج2، ص247.

[2] خزانة الحكمة: كانت منارة علمية وفكرية في العصر الفاطمي، تضمنت مكتبة ضخمة وقاعات دراسية ومجالس نقاش، تأسست حوالي عام 1005م بهدف نشر المذهب الإسماعيلي ودعم العلوم والبحث العلمي، وازدهرت تحت حكم الخليفة الحاكم بأمر الله، تعرضت لضرر كبير بعد الحرب الداخلية في عهد المستنصر بالله، ثم نهبت محتوياتها في نهاية الدولة الفاطمية. ينظر: درويش، محمود أحمد: التراث المعماري الفاطمي والأيوبي في مصر، مصر، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، 2019م، ص314.

[3] الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، الرياض، مكتبة دار السلام، 2011م، حديث رقم 844، ج2، ص208.

فجعلوا من هذه المؤسسات صدقات جارية تخلد ذكراهم وتستمر في العطاء بعد وفاتهم، ولم تقتصر هذه المؤسسات على العواصم الكبرى، بل انتشرت في المدن الإسلامية المختلفة، مثل "المدرسة النظامية" في بلخ التي أنشأها الوزير نظام الملك[1]، والتي كانت تمول من الأوقاف الخاصة التي خصصت لها، ولم يقتصر الدعم على الجانب المادي والمؤسسي، بل امتد إلى الجانب الاجتماعي حيث منح الحكام العلماء مكانة مرموقة في المجتمع، فكانوا يستشيرونهم في الأمور المهمة، ويولونهم المناصب القيادية، ويحترمون آراءهم حتى عندما تخالف هواهم، ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما قام به الوزير البويهي ابن سعدان[2] الذي جعل من بلاطه منتدىً فكرياً مفتوحاً للعلماء من مختلف المذاهب والاتجاهات، إذ كان يشجع المناظرات الحرة بينهم في مختلف القضايا العلمية والفلسفية،

أما في مجال رعاية الترجمة والنقل العلمي، فقد أولى البويهيون اهتماماً خاصاً بنقل المعارف من الحضارات الأخرى، مستندين في ذلك إلى التوجيه القرآني: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ

---

[1] الوزير نظام الملك: الحسن بن على بن إسحاق الطوسي، ولد سنة 408هـ/ 1018م، وتوفي سنة 485هـ/1485م، كان من جلة الوزراء، وكانت مجالسه معمورة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد، بنى أشهر مدرسة في تاريخ المدارس الإسلامية، وهي المدرسة النظامية ببغداد، سنة 457هـ/1064م. ينظر: ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة: أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1991م، ص18.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي، استوزره صمصام الدولة سنة 373 هـ/ 983م وقتله سنة 375هـ/986م، وكان رجلا باذلا لعطائه، مانعا للقائه، لا يخيب طالب إحسان منه في أكثر مطلبه، أحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتاب والحواشي من أموالهم، وقد ظل ابن سعدان في الوزارة إلى سنة 375 هـ/ 986م، حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به. ينظر: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ، ص33.

كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1]، فأنشأوا مراكز متخصصة للترجمة، وجلبوا المترجمين المهرة، ووفروا لهم كل ما يحتاجونه من موارد، وقد برز في هذا المجال الوزير أبو القاسم المغربي الذي كلف فريقاً من المترجمين بنقل أهم المؤلفات اليونانية والفارسية إلى العربية، مما ساهم في إثراء المكتبة الإسلامية وإتاحة مصادر معرفية جديدة للباحثين، كما أن البيمارستانات (المستشفيات) التي أنشأها الحكام في هذه الفترة، مثل البيمارستان العضدي في بغداد[2]، لم تكن مجرد مراكز للعلاج، بل كانت معاهد علمية طبية متكاملة، حيث كانت تقام فيها الدروس العملية والنظرية في الطب، وتجرى فيها الأبحاث الطبية، وتترجم فيها المؤلفات الطبية من اللغات الأخرى. وقد حرص الحكام على تزويد هذه البيمارستانات بالآلات الطبية والنصوص العلمية، وجلبوا لها الأطباء المشهورين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كما تجدر الإشارة إلى الدعم المعنوي الذي قدمه الحكام للعلماء، إذ كانوا يشاركونهم في جلساتهم العلمية، ويستمعون إلى محاضراتهم، ويشجعونهم على الإبداع والابتكار، وقد وصل من تقدير بعض الحكام للعلماء أنهم كانوا ينهضون لهم عند دخولهم، كما ورد عن بعض الخلفاء العباسيين مع علماء مثل أبي بكر الرازي[3]، وهذا السلوك كان مستمداً من الهدي النبوي في تكريم العلماء وإجلالهم. وقد خلف هذا الدعم المعنوي أثراً عميقاً في نفوس العلماء، فشعرهم بقيمة ما يقدمونه، مما دفعهم إلى بذل المزيد

---

[1] سورة النحل، الآية 43.

[2] الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ج20، ص26.

[3] أبو بكر الرازي: عالم وفيلسوف طبيب من الري، اشتهر كأحد أئمة الطب في الحضارة الإسلامية. من أشهر مؤلفاته "الحاوي في الطب" و"الجدري والحصبة"، وترجمت أعماله إلى اللاتينية وكانت مرجعاً أساسياً في أوروبا. ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م، ج1، ص299.

من الجهد في البحث والتأليف، ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما قام به الأمير بدر الدين لؤلؤ في الموصل، حيث كان يحضر جلسات العلماء بنفسه، ويشارك في المناقشات، ويمنح الجوائز القيمة لأفضل البحوث[1]، كما كان الخلفاء الفاطميون في مصر يخصصون أياماً معينة في الأسبوع لاستقبال العلماء والاستماع إلى إنجازاتهم العلمية، وبالتالي فإن تنوع أشكال الدعم التي قدمها البويهيون – من الدعم المادي إلى المؤسسي إلى الاجتماعي إلى المعنوي – قد خلق نظاماً متكاملاً للرعاية العلمية، يشبه إلى حد كبير أنظمة التمويل والرعاية العلمية في عصرنا الحالي، وقد أثبت هذا النموذج نجاعته في الحفاظ على استمرارية الحركة العلمية وتطورها، بل وفي تحقيق قفزات نوعية في العديد من المجالات المعرفية.

المبحث الثالث: الآثار والنتائج المترتبة على دعم البويهيون للحركة العلمية

يمكن القول إن الآثار والنتائج المترتبة على دعم البويهيون للحركة العلمية في العصر العباسي خلال الفترة 350 –380هـ/961–990م، كانت عميقة وشاملة، تجاوزت حدود العصر نفسه لتشكل تراثاً إنسانياً خالداً، فلقد أسفر هذا الدعم عن حفظ التراث العلمي الإسلامي من الضياع في فترة كادت فيها الفتن السياسية والاضطرابات أن تطمس معالم المعرفة، حيث تحقق وعد الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2]، فبينما كانت السلطة المركزية في بغداد تترنح تحت وطأة الصراعات بين البويهيين والسلاجقة، كانت مراكز العلم في الأقاليم تزدهر بفضل رعاية الحكام المحليين، مما ضمن استمرارية السلسلة الذهبية لنقل المعارف عبر الأجيال، وقد تجلى هذا الحفظ في ظهور موسوعات علمية ضخمة جمعت شتات المعرفة في مختلف الفنون، مثل كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني الذي ألفه في بلاط آل بويه، وكتاب

[1] ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ص70.

[2] سورة الحجر، الآية 9.

"الصـــيدلة في الطب" لأبي بكر الرازي الذي وضـــع أســـســـاً جديدة في العلوم الطبية، وكتاب "المناظر" لابن الهيثم الذي أسس علم البصريات الحديث. ولم يقتصر الأثر على مجرد الحفظ، بل تجاوزه إلى الإضافة والتطوير، حيث شهدت هذه الفترة تأسيس علوم جديدة بالكامل، مثل علم الكيمياء التجريبي عند جابر بن حيان، وعلم الاجتماع عند ابن خلدون لاحقاً الذي اســـتفاد من التراث المتراكم في هذه الحقبة، وعلم الجبر والخوارزميات عند الخوارزمي الذي طوره تلاميذه في هذه الفترة[1].

كما أسـهم هذا الدعم في خلق تنوع فكري وإثراء منهجي لم تشـهده الحضـارة الإسـلامية من قبل، حيث أنشـأ كل أمير أو وزير مدرسـة فكرية خاصـة به تعكس رؤيته وأيديولوجيته، ففي بلاط سـيف الدولة الحمداني في حلب، ازدهر الأدب والشـعر بفضـل رعاية المتنبي والصـنوبري وأبي فراس الحمداني، بينما اهتم البويهيون في بغداد بعلوم الفلسـفة والمنطق والكلام[2]، في حين طور الفاطميون في القاهرة علوم الفقه الشـــيعي والباطنية والعلوم الفلكية. وهذا التنوع لم يكن انقسـاماً سـلبياً، بل كان تخصـصـاً إيجابياً أثرى السـاحة العلمية وأتاح تطوراً متوازياً في مجالات معرفية متعددة في وقت واحد، وقد تحقق في هذا الإطار الوعد النبوي الشـــريف: "اختلاف أمتي رحمة"[3]، حيث أصـبح الاختلاف الفكري والمنهجي مصـدر قوة للحضـارة الإسـلامية، وقد تجلى هذا الإثراء في ظهور تيارات فكرية جديدة، مثل تيار التوفيق بين الفلســـفة والدين الذي قاده

---

[1] المالكي، حيدر ســـالم: محمد، المميزات العامة للكتابات التاريخية في القرن الثالث الهجري، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد4، العدد28، 2020، ص333-343.

[2] سليمان، إحسان محمود: شعراء ومفكرون حول سيف الدولة الحمداني، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، 2009م، ص16.

[3] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ، ج1، ص27.

الفلاسفة المسلمون، وتيار النقد الأدبي الذي تطور بفضل الجلسات العلمية في قصور الوزراء، حيث كان العلماء يناقشون قضايا اللغة والأدب في جو من الحرية الفكرية المحكومة بالأدب الإسلامي الرفيع، وقد أدى هذا التنوع إلى ظهور مناهج علمية متطورة في النقد النصي والتحليل اللغوي والتجريب العلمي، حيث طور العلماء المسلمون أساليب البحث العلمي المنهجي القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء، ومن النتائج البارزة لهذا الدعم ظهور جيل من العلماء الموسوعيين الذين برعوا في عدة تخصصات في وقت واحد، مما جعلهم رواداً في تاريخ العلوم الإنسانية والطبيعية، فالعالم أبو الريحان البيروني لم يكن جغرافياً فحسب، بل كان أيضاً فلكياً ومؤرخاً ورياضياً[1]، وأبو علي الحسين بن سينا جمع بين الطب والفلسفة والفيزياء والكيمياء[2]، وأبو حامد الغزالي برز في الفقه والفلسفة والتصوف وعلم الكلام، وقد أصبح هؤلاء العلماء نماذج للعالم الشامل الذي يجمع بين علوم الدين والدنيا، محققين بذلك التكامل المعرفي الذي دعا إليه الإسلام، والمتجلي في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[3]، وقد انتقلت مؤلفات هؤلاء العلماء إلى أوروبا في العصور الوسطى، وأصبحت مراجع أساسية في جامعاتها، مثل جامعة بولونيا وباريس وأكسفورد، مما أسهم في النهضة الأوروبية لاحقاً، كما أسس هؤلاء العلماء لمنهجية البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، خاصة في العلوم الطبيعية، حيث طوروا المنهج التجريبي الذي أصبح أساساً للعلم الحديث، وقد ظهر أثر هذا المنهج جلياً في أعمال ابن النفيس

---

[1] النعماني، عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ج1، ص160.

[2] ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م، ج2 ج2، ص291.

[3] سورة طه، الآية 114.

في الطب، وابن الهيثم في البصـــريات، والبيروني في الجيولوجيا، حيث قدموا نماذج رائدة للبحث العلمي التجريبي الذي سبق عصر النهضة الأوروبية بقرون[1].

كما أدى هذا التطور إلى ظهور وظائف جديدة في المجتمع الإســـلامي، مثل وظيفة الناظر على الأوقاف العلمية، ووظيفة المدرّس النظامي، ووظيفة المســاعد التعليمي، مما وســع من قاعدة التوظيف في قطاع التعليم وجعله مهنة مســتقلة قائمة بذاتها. وقد انتشــر هذا النموذج المؤســســي في جميع أنحاء العالم الإســلامي، من الأندلس إلى الهند، مما خلق شــبكة تعليمية موحدة المعايير والمناهج رغم تباعد المسافات واختلاف المذاهب[2].

وقد أسفر هذا الدعم عن تطور ملحوظ في البنية التحتية للبحث العلمي، حيث تم إنشاء المراصد الفلكية مثل المرصد الذي أنشأه شرف الدولة البويهي في بغداد[3]، والمكتبات الضخمة مثل مكتبة الحكمة في القاهرة التي أسسها الحاكم بأمر الله الفاطمي، والمستشفيات التعليمية مثل البيمارســتان المنصــوري في القاهرة، هذه المؤســســات لم تكن أماكن للعمل العلمي، بل كانت مجمعات بحثية متكاملة تضـــم قاعات للمحاضـــرات ومســـاكن للباحثين وورش عمل للترجمة والتأليف، وقد وفرت هذه البيئة العلمية المتكاملة الأرضـية الخصـبة للاكتشـافات العلمية الكبرى، مثل اكتشــاف الدورة الدموية الصــغرى لابن النفيس، وتطوير قوانين الضــوء لابن الهيثم، وتقدير

(1) القـدومي، مروان: دور ابن الهيثم في البحـث العلمي، مجلـة جـامعـة النجـاح للأبحـاث، المجلد16، العدد1، 2002م، ص7–16.

(2) الشـــعيب، خالد عبدالله: النظارة على الوقف، الكويت، الأمانة العامة للأوقاف، 2022م، ص77-83.

(3) ابن تغري بردي، يوسـف بن تغري بردي بن عبد الله: النجوم الزاهرة في ملوك مصـر والقاهرة، ج1، ص148–149.

محيط الأرض للبيروني. كما ســـاهمت في تطوير الآلات العلمية الدقيقة مثل الأســـطرلاب والكرومتر والمزولة، التي استخدمت في الملاحة والرصد الفلكي والحساب الزمني[1].

وختاماً، فإن من أهم الآثار الاســتراتيجية لهذا الدعم أنه حافظ على الوحدة الحضــارية للأمة الإســلامية رغم تعدد كياناتها الســياســية، فالعلماء كانوا ينتقلون بحرية بين بغداد وقرطبة والقاهرة وحلب وخراسان، حاملين معهم العلوم والمعارف، مما خلق لغة علمية موحدة ونسقاً فكرياً متماســكاً تجاوز الحدود الســياســية والخلافات المذهبية، وبالتالي فإن إنجازات هذه الفترة لم تكن مجرد إضـــافات كمية للمعرفة، بل كانت تحولات نوعية في بنية الفكر الإســـلامي ومنهجيته، وضـعت الأسـس للعصـور الذهبية اللاحقة، وأثبتت أن ازدهار العلم هو الضـمان الحقيقي لخلود الحضارات.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث حول مساهمات البويهيون في دعم الحركة العلمية في العصر العباسي 350-380هجري/961-990 ميلادي، فقد توصـلت الدراسـة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- تميزت الفترة (350-380هـ) بضعف السلطة المركزية في بغداد وبروز دور البويهيون في الأقاليم كرعاة للحركة العلمية.
- مثّل التنافس بين المراكز الســـياســـية المختلفة (البويهيون في بغداد، الحمدانيون في حلب، الفاطميون في مصر، الأمويون في الأندلس) محركاً رئيسياً للرعاية العلمية.

[1] حسـين، زليخا أمين: موسـوعة ينابيع المعرفة حضـارات وأعلام، عمان، دار دجلة، 2008م، ص141.

- استخدم الحكام الرعاية العلمية كأداة لتحقيق الشرعية السياسية وتعزيز مكانتهم في مواجهة الخصوم.
- أسهم تعدد المراكز السياسية في إثراء الحركة العلمية من خلال التنوع المنهجي والتخصص الإقليمي.
- تنوعت أشكال الدعم بين المادي والمؤسسي والاجتماعي والمعنوي، مما خلق نظاماً متكاملاً للرعاية.
- تميز الدعم المادي بتوفير الرواتب الثابتة والمنح السخية للعلماء، مما وفر لهم الاستقرار المعيشي والتفرغ للبحث العلمي.
- أسهم إنشاء المؤسسات العلمية المتخصصة (كدار العلم في الري، وخزانة الحكمة في القاهرة) في تأسيس بنية تحتية علمية متكاملة.
- حظي العلماء بمكانة اجتماعية مرموقة، حيث كان الحكام يستشيرونهم ويولونهم المناصب القيادية.
- أولى البويهيون اهتماماً خاصاً برعاية الترجمة والنقل العلمي من الحضارات الأخرى.
- حافظ الدعم على استمرارية الحركة العلمية رغم الضعف السياسي، وحفظ التراث العلمي الإسلامي من الضياع.
- أسفر الدعم عن ظهور موسوعات علمية ضخمة وتأسيس علوم جديدة في مجالات متعددة.
- أدى التنافس بين المراكز العلمية إلى إثراء المناهج البحثية وتطور المنهج التجريبي.
- ظهر جيل من العلماء الموسوعيين الذين برعوا في عدة تخصصات (كابن سينا والبيروني وابن الهيثم).
- ساهم الدعم في تطوير المؤسسات التعليمية وتحويلها من حلقات علمية عابرة إلى مؤسسات دائمة.

- انتقلت إنجازات العلماء المسلمين إلى أوروبا وأسهمت في النهضة الأوروبية لاحقاً.
- حافظت الحركة العلمية على الوحدة الحضـــارية للأمة الإســـلامية رغم تعدد الكيانات السياسية.
- أثبت البحث أن ازدهار العلم لا يرتبط بالضرورة بقوة السلطة السياسية المركزية.
- بينت الدراسة فعالية نموذج الرعاية العلمية الشاملة الذي جمع بين الدعم المادي والمؤسسي والاجتماعي.

التوصيات:

- حث الحكومات والمؤسسات المعاصرة على زيادة الدعم المالي والمؤسسي للمراكز العلمية والبحثية، والاستفادة من النموذج التاريخي في إنشاء مؤسسات متكاملة الخدمات.
- تشجيع تبني سياسات منهجية لاكتشاف ورعاية المواهب العلمية، وتوفير المنح الدراسية والبحثية التي تضمن استقرار الباحثين مادياً ومعنوياً.
- الاهتمام ببرامج الترجمة والتأليف العلمي، ونقل المعارف من اللغات الأخرى، والاستفادة من تجربة العصر العباسي في إثراء المكتبة العلمية المحلية.
- العمل على إنشـــاء شـــبكات تعاون بين الجامعات ومراكز الأبحاث محلياً وإقليمياً، لتحقيق التكامل المعرفي وتبادل الخبرات.
- توثيق الإنجازات العلمية للمسلمين في العصر العباسي ونشرها بأسلوب عصري، والاستفادة منها في تعزيز الهوية الحضارية والإسهام في المشروع العلمي المعاصر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م.
3. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة: أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م.
4. ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م.
5. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب، د.ت.
6. ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م.
7. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1952م.
8. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ.
9. أرسلان، شكيب: المختار من رسائل أبي اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ، بيروت، الدار التقدمية، 2010م.
10. أيوب، أحمد بن سليمان ونخبة من الباحثين: موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، تح: سليمان الدريع، دار إيلاف، الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.
11. التويجري، عبد العزيز بن عثمان: العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2025م.
12. الثعالبي، عبد الملك بن محمد: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قمحية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

13. حسين، زليخا أمين: موسوعة ينابيع المعرفة حضارات وأعلام، عمان، دار دجلة، 2008م.
14. الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
15. درويش، محمود أحمد: التراث المعماري الفاطمي والأيوبي في مصر، مصر، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، 2019م.
16. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، تح: جونهيلد جراف، اريكا جلاسِن، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1994.
17. الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
18. الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
19. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
20. سليمان، إحسان محمود: شعراء ومفكرون حول سيف الدولة الحمداني، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، 2009م.
21. شابرا، محمد عمر: الحضارة الإسلامية أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، تر: محمد زهير السمهوري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 2012م.
22. الشعيب، خالد عبدالله: النظارة على الوقف، الكويت،الأمانة العامة للأوقاف، 2022م.
23. الشنقيطي، محمد بن محمد سالم: لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، دار الرضوان، موريتانيا، 2015م.
24. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 2000م.
25. ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، مصر، دار المعارف، 1995م.
26. غالب، وجدان جعفر، الحركة العلمية في المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد6، العدد1، 2024م.

27. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ.
28. القبج، عامر أحمد؛ ياسين، معالي، الصلات الثقافية بين الإمارة الأموية في الأندلس وبلاد المغرب والمشرق 138-316هـ/756-928م، مجلة جامعة النجاح، المجلد1، العدد33، 2019م.
29. القدومي، مروان: دور ابن الهيثم في البحث العلمي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد16، العدد1، 2002م.
30. الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، الرياض، مكتبة دار السلام، 2011م.
31. المالكي، حيدر سالم: محمد، المميزات العامة للكتابات التاريخية في القرن الثالث الهجري، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد4، العدد28، 2020.
32. مسكويه، أبو علي الرازي: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، الطبعة الثانية، 2000م.
33. النعماني، عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م.
34. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م.
35. الهروي، محمد بن علي بن محمد النحوي: إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قُشاش، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،١٤٢٠هـ.

Sources and references

The Holy Quran

1. Ibn al-Athir, Ali ibn Abi Al-Karam: The Complete History, Ed.: Omar Abdus Salam tadmoury, Beirut, Arab Book House, ١٩٩٧ um>

2. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad: the regular in the history of kings and nations, edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir, Atta, Beirut, House of scientific books, 1992.

3. Ibn al-Shajari, Dia al-Din Abu al-Saadat Heba Allah ibn Ali ibn Hamza: Amali Ibn al-Shajari, tahmood Muhammad al-tanahi, Al-Khanji library, Cairo,1991.

4. Ibn al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq: the index, t. h.: Ibrahim Ramadan, Beirut, Dar Al-marefa, ١٩٩٧ um.

5. Ibn taghri Bardi, Yusuf ibn taghri Bardi ibn Abdullah: the rising stars in the Kings of Egypt and Cairo, Cairo, House of books, d.T

. 6. Ibn Hajar al-Asqalani: Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed, Al-Mizan tongue, Beirut, al-Alami foundation for publications, ١٩٧١ d.

7. Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid Al-Qazwini: the son of Ibn Majah, edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Cairo, the House of revival of Arabic books, 1952.

8. Abu Hayyan Al-Tawhidi, Ali ibn Muhammad ibn al-Abbas: pleasure and sociability, Beirut, Modern Library, ١٤٢٤ eh.

9. Arslan, Shakib: selected from the letters of Abu Ishaq Ibrahim ibn Hilal Ibn zahron Al-Sabi, Beirut, progressive house,2010.

10. Ayoub, Ahmed bin Suleiman and a group of researchers: Encyclopedia of the beauties of Islam and the response of the suspicions of meanness, edited by Suleiman Al-Deri, Dar Elaf, international publishing and distribution, Cairo, 2015.

11. Al-Tuwaijri, Abdul Aziz bin Othman: the Islamic world in the era of globalization, Al-Shorouk publishing and distribution house, Amman, 2025.

12. Al-thaalabi, Abdul Malik bin Mohammed: the orphan of the age in the beauties of the people of the age, taht: Mufid Mohammed qamhiya, Beirut, House of scientific books, 1983. 13. Hussein, Zuleikha Amin: Encyclopedia of the springs of knowledge, civilizations and flags, Amman, Dar Dijlah, 2008.

14. Al-Hamwi, Yaqut bin Abdullah: lexicon of literary writers guiding the Arab to the knowledge of literature, taht: Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb al-Islami, Beirut, 1993.

15. Darwish, Mahmoud Ahmed: Fatimid and Ayyubid architectural heritage in Egypt, Egypt, Arab nation foundation for publishing and distribution, 2019.

16. Al-dawadari, Abu Bakr bin Abdullah bin Aibek: the treasure of Al-Durr and the collector of Al-ghurar, Ed.: Gunhild Graf, جون glasen, Cairo, Isa Al-Babi al-Halabi & Associates Press, 1994. 17. Al-dhahabi, Mohammed bin Ahmed: the history of Islam and the deaths of celebrities and media, Ed.: Bashar Awad, Beirut, Dar Al-Gharb al-Islami, ١٩٩٣.

18. Al-dhahabi, Mohammed bin Ahmed: biography of the flags of the nobility, Ed.: Shoaib Al-Arnaout, Beirut, the message Foundation, ١٩٨٥ um.

19. Al-zarkali, Khair al-Din bin Mahmoud bin Mohammed: the flags, Dar Al-Alam for millions, Beirut,2002.

20. Suleiman, Ehsan Mahmoud: poets and thinkers about Saif Al-Dawla al-Hamdani, PhD thesis, Omdurman Islamic University, Faculty of Arabic language, 2009.

21. Chhabra, Mohammed Omar: Islamic Civilization causes of decadence and the need for reform, TR: Mohammed Zuhair al-Samhouri, World

Institute of Islamic thought, Virginia, 2012. 22. Shuaib, Khaled Abdullah: the glasses on the endowment, Kuwait, General Secretariat of Endowments, 2022.

23. Al-Shanqiti, Mohamed Ben Mohamed Salem: L'awameh Al-Durr in hattak Astar Al-mukhtasir, Dar al-Radwan, Mauritania, 2015.

24. Safadi, Salah al-Din Khalil Ibn Aibek: the obituaries, edited by Ahmed Al-arnawut and Turki Mustafa, Beirut, heritage revival house, 2000.

25. Guest, Shawky: the history of Arabic literature, Egypt, Maarif House, 1995.

26. Ghalib, wajdan Jafar, the scientific movement in the Islamic Levant in the third century Hijri, Journal of Humanities and civilization, Vol.6, No. 1, 2024.

27. Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad: revival of the sciences of religion, Beirut, House of scientific books, 1425 Ah.

28. Al-qabaj, Amer Ahmed; Yassin, H. E., cultural links between the Umayyad emirate in Andalusia and the Maghreb and the Levant 138-316 Ah/756-928 ad, Al-Najah University Journal, Vol.1, No. 33, 2019.

29. Kaddoumi, Marwan: the role of Ibn al-Haytham in scientific research, Al-Najah University Journal for Research, Vol.16, No. 1, 2002.

30. Al-Kahlani, Mohammed bin Ismail bin Salah bin Mohammed Al-Hassani: enlightenment explained the small mosque, Riyadh, Dar es Salaam library, 2011.

31. Al-Maliki, Haider Salem: Muhammad, general characteristics of historical writings in the third century Hijri, Journal of Islamic Research, Vol.4, No. 28, 2020.

32. Maskuh, Abu Ali Al-Razi: the experiences of nations and the succession of determination, taht: Abul Qasem Emami, Dar Soroush, Tehran, second edition, 2000.

33. Al-Naamani, Omar bin Ali: the core in the sciences of the book, edited by Adel Ahmed Abdel mawjoud, Beirut, House of scientific books, 1998.

34. Nouiri, Shihab al-Din Ahmed bin Abdul Wahab: the end of the Arab in the literary arts, Beirut, House of scientific books, 2004.

35. Al-Harawi, Muhammad Bin Ali bin Muhammad al-nahawi: Isfar al-Fasih, taht: Ahmad Bin Saeed bin Muhammad qashash, Medina, Deanship of scientific research at the Islamic University, ١٤٢٠ eh.

أثرُ الزَّمن الفعلي في توجيهِ دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني

إعداد: الباحث بكر عبد العزيز عبُود

إشراف: أ. د. سمير أحمد معلوف – المشرف المشارك: أ. م. د. وصال الحميد –

جامعة حمص – كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة – قسم اللُّغة العربيَّة

ملخَّص البحث:

ممَّا هو معروف في تراثنا النقدي والبلاغي أنَّ الجملة الفعليَّة تدلُّ على التجدُّد، أمَّا الجملة الاسميَّة فإنَّها تدلُّ على الثبوت، إلَّا أنَّ هذا فيه نظرٌ، إذ لا يُمكننا أنْ نُفرِّقَ بين الجُملةِ الفعليَّةِ والاســـميَّةِ من حيث الدلالة على التجدُّد أو الثَّبات فقط، بيان ذلك أنَّ الفعلَ قد يأتي على صيغةِ (فَعَلَ) إلَّا أنَّ دلالته على ذلك الزمن تتغيَّر تبعًا لاختلاف التراكيب التي ينتظم فيها وما يتضمَّنه السِّياق من قرائن وأدوات تُساعد في توجيه دلالته الزمنيَّة.

وقد عمد هذا البحث إلى دراسة أثر الزمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني.

الكلمات المفتاحيَّة: الزَّمن، الفعل، الدلالة، التَّركيب، القرينة، السِّياق، النَّظم.

The Impact of Actual Time on Directing the Meaning of Syntax in the Poetry of Abu Firas al-Hamdani

By Bakr Abdel Aziz Abboud

Supervised by Professor Samir Ahmed Maalouf

Co – Supervisor: Prof. Dr. Wisal Al-Hamid

Department of Arabic Literature, Faculty of Arts, Homs University

Abstract:

It is well-known in our critical and rhetorical heritage that the verbal sentence indicates renewal, while the nominal sentence indicates permanence; however, this is debatable. We cannot differentiate between verbal and nominal sentences based solely on their indication of renewal or stability. This is because the verb may come in the form of (faʿala), but its indication of that time changes according to the different structures in which it is organized and what the context includes of clues and tools that help to guide its temporal indication. This research aimed to study the effect of actual time on directing the meaning of the structure in the poetry of Abu Firas al-Hamdani.

Keywords:

time, verb, meaning, structure, context, order.

- **المقدمة:**

ممَّا هو معروف في تراثنا النقدي والبلاغي أنَّ الجملة الفعليَّة تدلُّ على التجدُّد، أمَّا الجملة الاسميَّة فإنَّها تدلُّ على الثبوت، قال القزويني (– 739 هـــ): " وفعليَّتها لإفادة التجدُّد. واسميَّتها لإفادة الثبوت، فإنَّ من شأنِ الفعليَّة أنْ تدلَّ على التجدُّدِ، ومن شأنِ الاسميَّةِ أنْ تدلَّ على الثبوت "[1]، إلَّا أنَّ هذا فيه نظرٌ، إذ لا يُمكننا أنْ نُفرِّقَ بين الجُملةِ الفعليَّةِ والاسميَّةِ من حيث الدلالة على التجدُّد أو الثَّبات فقط، فالأفعال أحداثٌ تدلُّ على الزمن الماضـــي أو الحاضـــر المستمر الذي لم ينقطع أو المستقبل كما يقول سيبويه في (الكتاب): " وأمَّا الفعل فأمثلة أُخِذتْ من لفظِ أحداثِ الأســماء، وبُنِيتْ لما مضـــى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنقطع. فأمَّا بناء ما مضـــى فذَهَبَ وسَـــمِعَ ومَكُث وحُمِدَ. وأمَّا بناء ما لم يقع فإنَّه قولك آمِرًا: اذهَبْ واقتُلْ واضـرِبْ، ومخبرًا: [يَقْتُلُ و] يَذهَبُ ويَضْـرِبُ ويُقْتَلُ ويُضـرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ "[2]، وهذه الأفعال تتحدَّدُ دلالتُها على الزمن من خلال بناءِ التركيبِ اللُّغوي ضـــمن سياق النَّظم، بيان ذلك أنَّ الفعلَ قد يأتي على صيغةِ (فَعَلَ) إلَّا أنَّ دلالته على ذلك الزمن تتغيَّر تبعًا لاختلاف التراكيب التي ينتظم فيها ضــمن ســياق النَّظم، ومن هنا نلاحظ أنَّ دلالة الأفعال

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2، ص: 133.

[2] الكتاب، سـيبويه، تح: عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة – مصـر، ط3، 1988م، ج1، ص: 12.

على الزمان لا تتحدَّد بصـيغتها التي تُصـاغ منها فحسـب، وإنَّما يتمُّ تحديد زمانها من صـيغتها الصرفية وبناء الجملةِ وما تتضمَّنه من زياداتٍ تُعينُ الفِعْلَ على تقرير الزمان في حدود واضحة.[1] ومن هنا تكمن أهميَّة دراســـة أثر الزَّمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب في شـــعر أبي فراس الحمْداني، حتَّى نســـتطيع أنْ نتبيَّن اختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال تبعًا لاختلاف صـــيغتها الصَّـرفيَّة وما يتضـمَّنه سـياق النَّظم من قرائن تُعين في توجيه الدلالة الزمنيَّة للأفعال في تركيب الصُّورة الكلاميَّة في شعر أبي فراس الحمْداني.

- **أهميَّة البحث:**

إنَّ الحديث عن أثر الزَّمن الفعلي في توجيه دلالة التَّركيب يمنح المتلقِّي قدرةً على إدراك اختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال تبعًا لاختلاف صـيغتها الصَّـرفيَّة والقرائن التي تسـاعد في توجيه دلالتها الزمنيَّة، وبذلك يســتطيع المتلقِّي فهم النَّص اللُّغوي، لا ســيَّما عند أبي فراس الحمْداني، إذ تميَّز شعره باختلاف الدلالة الزمنيَّة للأفعال من سياقٍ لغويٍّ لآخر.

- **مشكلة البحث:**

لا بدَّ لكلِّ بحثٍ أكاديميٍّ من أنْ يواجه بعض المشـــكلات التي قد تعتري الباحث عند الخوض في غمار البحث، ومن تلك المشـــكلات التي واجهتني مشـــكلة تحديد الدلالة الزمنيَّة

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط3، 1983م، ص: 24.

للفعل، فمعرفة الدلالة الدلالة الزمنيَّة للفعل تحتاج إلى مزيدٍ من التروِّي والتأمُّل في فهم دلالة النَّصِّ اللُّغويِّ وما يحمله من قرائن تساعد في فهم الدلالة الزمنيَّة التي يقصدها الشَّاعر.

- **هدف البحث:**

يهدف البحث إلى إيضـــاح أثر الزَّمن الفعلي في معرفة الدلالة الزمنيَّة للنصِّ اللُّغويِّ عند أبي فراس الحمْداني، من خلال الوقوف على العوامل المؤثِّرة في توجيه تلك الدلالة.

- **منهجيَّة البحث:**

سـنتَّبع في بحثنا هذا المنهج الوصـفي التحليلي، لأنَّ هذا المنهج يقوم بوصـف الظَّاهرة اللُّغويَّة وتحليلها، لاسـتنباط التغيُّرات الزمنيَّة للتركيب في شـعر أبي فراس الحمْداني، من خلال الوقوف على نماذج مختارة من شعره.

- **هيكليَّة البحث:**

تتألَّف الدراسـة من مبحثٍ واحدٍ، تمَّ الحديث فيه عن اختلاف الدلالة الزمنيَّة للفعل داخل سـياق الجملة الفعليَّة، وما يحمله من اختلافٍ في دلالته الزمنيَّة تبعًا لاختلاف السـياق والقرائن الداخلة عليه ضمن تركيب الصُّورة الكلاميَّة في شعر أبي فراس الحمْداني.

أولًا: الزَّمن في الجملة الفعليَّة:

الجملةُ الفعليَّةُ هي الجملةُ التي يكونُ المُسْـــندُ فيها فعلًا، ويختلفُ موقعُه في ســـياقِ التَّركيبِ اللُّغوي، فتارةً يتقدَّم على الفاعل والمفعول به (إذا كان الفعلُ متعدِّيًا) فيأتي موافقًا للصِّيغةِ الأصليَّةِ في تركيبِ الجُملةِ العربيَّةِ، وفي أحيان أخرى يأتي الفعلُ متأخرًا عن الفاعلِ والمفعولِ به فيخالفُ تلك الصِّـــيغةَ، فقد أشـــارَ علماؤنا القدامى إلى أنَّ هناك تقديمٌ على نيَّة التأخير، وتقديمٌ ليس على نيَّة التأخير، ومن بينهم عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) حين قســـم التقديم قسمين، أحدهما تقديم على نيَّة التأخير، وذلك يكون في كلِّ شـيءٍ أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنســـه الذي كان فيه، كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل، كقولنا: " منطلقٌ زيدٌ " و " ضـــرب عمرًا زيدٌ "، فـــــ " منطلق " و " عمرًا " لم يخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه قبل ذلك، فبقي " منطلق " خبرًا مقدَّمًا للمبتدأ " زيدٌ "، و" عمرًا " مفعولًا به للفعل " ضربَ ".

والآخر تقديمٌ لا على نيَّة التأخير، بل على أن تنقل الشـــيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابًا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، كما في قولنا: " ضربت زيدًا "، و " زيدٌ ضربته "، فلم يتقدَّم " زيدًا " على أنَّه مفعولًا منصـوبًا بالفعل كما كان، بل أصـبحَ مرفوعًا بالابتداء، وشُـغِلَ الفعل بضـميره، وجُعِلَ في موضع الخبر له.[1]

[1] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م، ص: 106 - 107.

ونجد هذه التقديمات بين المسند والمسند إليه في الشعر العربي أيضًا، وهذا مطلبٌ من مطالب الإبداع في الشِّعر، لأنَّ الإبداع يقتضي أنْ تنحو نحو " معرفةِ كيفيَّة التركيب فيما بين الكلِم لتأديةِ أصلِ المعنى مطلقًا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب "[1]، وهو مطلبٌ لا يحيدُ عن ضرورةِ العدولِ عن المقياس المتَّبعِ في طريقةِ نَظْمِ الكلامِ العربيِّ من أجلِ الوصولِ إلى المعنى الذي يبتغيه المتكلِّم من نصِّه، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في قوله: " الألفاظ لا تُفيد حتَّى تُؤلّف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب "[2]، وهو ما يمكن تسميته بالعدول أو الانزياح التركيبي لتأدية المعنى المُراد، من خلال الامتناعِ عن إجراءِ الكلامِ على الأصلِ، واللُّجوء إلى العدول في اللُّغة عن مستوى استخدامها المألوف.[3]

ثانيًا: الزَّمن الفعلي وأثره في توجيه دلالة التَّركيب في شعر أبي فراس الحمْداني:

يُعدُّ الفعلُ الرُّكنَ الأساسَ في تركيبِ الجُملةِ الفعليَّةِ، فعليه مناط التعلُّق ونواته، وبه تكتملُ الدلالةُ وتترابط التراكيب في الصُّورةِ الكلاميَّةِ، فهو يدلُّ على الحدث والزمن والفاعل،[4] إلَّا

[1] مفتاح العلوم، السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ص: 125.
[2] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدَّة، د.ط، د.ت، ص: 4.
[3] ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة – مصر، ط1، 1994م، ص: 270.
[4] ينظر: الخصائص، ابن جنِّي، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريَّة، المكتبة العلميَّة، د.ط، د.ت، ج3، ص: 98.

أنَّ تلك الدلالة تبقى مُبهمة إلى أنْ يكتملَ تركيبُ الجملةِ الفعليَّة التي تُزيلُ إبهامَ الفعلِ، بيانُ ذلك أنَّنا إذا قُلنا: حَضَـرَ، فإنَّ الفعل يدلُّ على حدثٍ هو الحضـور، وزمنٍ هو الماضـي، إلَّا أنَّ هذا الزمن غير محدَّدٍ في أيِّ جزءٍ من أجزاء الزمن الماضـي، وفاعلٍ لا يُدرى من هو، فإذا اكتمل تركيبُ الجُملةِ الفعليَّةِ انتقل الفعل من حالةِ الإبهامِ إلى حالةِ التقييدِ، فإذا قلنا: حَضَرَ محمدٌ نكون قد أزلنا إبهام الفاعل، وإذا قلنا حضـرَ محمدٌ صـباح اليوم، فقد أزلنا إبهام الزمان بالظرف، وإذا قلنا: أبلى محمدٌ بلاء الأبطال، نكون قد أزلنا إبهام الحدث من خلال الإبانة عن نوع هذا الحدث، فمن خلال تلك القيود التي أضـفناها للفعل من خلال صـياغته في تركيب الجملة أزلنا عنه الإبهام، فـ ((محمد)) و ((صباح اليوم)) و ((بلاء الأبطال)) قيود للفعل ((حضرَ))، وإنْ تجوَّز النحاة في الإعراب، لأنَّ الفاعل ((محمد)) عندما وُضِـع إلى جانب ((حضـرَ)) أبان عن الفاعل الذي تدلُّ عليه صيغة ((فعل))، وكذلك الظرف والحدث المبين، فكلٌّ منهما أبان عن الزمن الذي وقع فيه الفعل، ونوع الحدث الذي وقع عليه.[1]

ومن تلك الزيادات التي تعيِّن الدلالة الزمنيَّة للفعل اسـتخدام (قد)، إذ أشـار الدارسـون العرب القدامى إلى أنَّ من معاني (قد) التحقيق، أي أنَّ الحدث بعدها كائن واقع،[2] وذلك حين يدخل

[1] ينظر: تحليل الجملة الفعلية، محمد إبراهيم البنا، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1984م، ص: 94.

[2] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 26.

على الفعل الماضـي، وهذا ما أشـار إليه ابن هشـام النحوي في قوله تعالى: **{ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا }** [سورة الشمس: 9]، فقد أفادت إضافة (قد) للفعل الماضي (أفلَحَ) معنى التحقيق.[1]

ومن المعاني الإضـافيَّة التي ذكرها ابن هشـام لـــ (قد) تقريب الزمن الماضـي من الحال، فحين نقول: قام زيد، يحتمل الماضـي القريب والبعيد، فإن قلنا: قد قام زيد اختصَّ الماضـي بالزمن القريب،[2] من ذلك قول أبي فراس الحمداني:[3][من البسيط]

قَـدْ ضَـجَّ جَيْشُـكَ، مِنْ طُولِ القِتَـالِ بِـهِ، وَقَـدْ شَـكَتْـكَ إِلَيْنَـا الْخَيْـلُ وَالْإِبِـلُ!

وَقَـدْ دَرَى الـرُّومُ، مُـذْ جَـاوَرْتَ أَرْضَـهُـمُ، أَنْ لَيْسَ يَعْصِـمَهُمْ سَـهْـلٌ، وَلَا جَبَـلُ

فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ تَـزُورُ الـثَّـغْـرَ، لَا ضَـجَـرٌ يَـثْـنِـيـكَ عَـنْـهُ، وَلَا شُـغْـلٌ وَلَا مَـلَـلُ

فَـالـنَّـفْـسُ جَـاهِـدَةٌ، وَالْـعَـيْـنُ سَـاهِـدَةٌ، وَالْـجَـيْـشُ مُـنْـهَـمِـكٌ، وَالْـمَـالُ مُـبْـتَـذَلُ

[1] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشـام الانصـاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص: 197.

[2] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص: 195.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، تح: سامي الدهَّان، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيَّة، دمشق، د.ط، 1944م، ج2، ص: 297.

تَـوَهَّـمَـتْـكَ كِـلَابٌ غَـيْـرَ قَـاصِـــدِهَـا، وَقَـدْ تَـكَـنَّـفَـكَ الْأَعْـدَاءُ وَالشُّـــغُـلُ

حَـتَّـــى رَأَوْكَ، أَمَـــامَ الْـجَـيْـشِ، تَـقْـدُمُـهُ وَقَـدْ طَـلَـعْـتَ عَـلَـيْـهِـمْ، دُونَ مَـا أَمِـلُوا

أفاد دخول (قد) على الأفعال (ضَجَّ) و (شَكَا) و (دَرى) تحقيق وقوع الحدث في الزمن الماضي القريب من الحال، فقد ضَجَّ الجيشُ واشتكت الخيلُ والإبلُ لطولِ القتالِ حتَّى تحقيق النَّصر على الأعداء.

أراد الشاعر أن يصف طول القتال بين جيش سيف الدولة الحمداني والروم حتَّى تعبت الخيول والإبل التي كان يستخدمها الجنود للقتال في ساحة المعركة، إلى أنْ انهارت صفوف الروم أمام صبرِ ذلك الجيش، فقد أيقن الرُّومُ بأنَّ الهزيمةَ متحقِّقةٌ لأنَّهم يواجهون جيش سيف الدولة، فكانت هزيمتهم مُتحقِّقة، لذلك جاء بالفعل الماضي (دَرَى) مقرونا بـــــ (قد) لإفادة معنى تيقُّن الرُّوم بمحاصرةِ سيفِ الدولةِ لهم، فلا خَيَار لهم أمام جيشه إلَّا الاستسلام أو القتل، فجيشُهُ مُحيطٌ بهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، وقد استخدم الشَّاعرُ في وصفِ ذلك المشهد صورةً للمعنى الكلاميِّ مؤلَّفةً من عددٍ من الجملِ الفعليَّة القائمة على الفعل الماضي مع (قد)، فأفاد تكرار هذه الصِّيغة أو طريقة النَّظم معنى الحقيق، فهو يريد التَّأكيد، ونَزْعَ فكرة الزعزعة في نفس البطل المقاتل (سيف الدولة)، وتأكيدَ ثباته في المعركةِ على خلاف مَنْ مَعَهُ، وَمَنْ ضِـــدَّه، ولورود (قد) مع الفعل الماضي في صيغةِ الخبرِ دلالات معنويَّة سلكها الشَّاعر في صورتِهِ الكلاميَّةِ، فكأنَّهُ يُريدُ أنْ

يَسْـرُدَ لنا وقائعَ جرت في قلبِ المعركةِ، ففي المسـالك المعنويَّة التي وردت لدى الشَّـاعر نَجِدُ أنَّ (قد) مع الفعلِ الماضي تحملُ دلالتين: الأولى تحقيق والثانية تقريب، فكانَّه يريد بذلك تأكيدَ الفكرة وحَمْلَ المُخاطَبِ على تَصَوُّرها وكأنَّها جَرَتْ قريبًا في الزَّمَنِ.

والذي نجده أيضًا في الأبيات بالإضافة إلى السرد، الصُّورة العامَّة للمعركة، وتتلخَّص في طولِ زَمَنِ المعركةِ، وهذه الصُّورةُ أدَّت إلى ضَجَرِ جيشِ سيفِ الدولةِ، وكأنَّنا أمام تناصٍّ مع الآيةِ الكريمةِ في قوله تعالى: **{ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ }** [سـورة البقرة: 214]، فهنا اسـتبطاءٌ للنَّصْـرِ، وعند أبي فراس تصـويرٌ للضَّـجَرِ، ووجهُ المقارنةِ بين النَّظمين (نَظْمُ الآيةِ ونَظْمُ شِـعْرِ أبي فِراس) أنَّ أُسلوبَ القُرآن الكريم أخذَ طابعَ الإنشـاءِ وذلك ليُبيِّن أمرين: ثبوت الإياس لدى المؤمنين، وتضـجُّرهم من بطء النصـر، أمَّا لدى أبي فراس فهو صـــورة للمقاتل العادي الذي طال عليه أمد الحرب فأثقلته مدَّتهُ مع التضجُّر.

وبالمقابل نجدُ صـــورةَ الرُّومِ الَّذين أيقنوا بالهزيمةِ، وهذا اليقينُ ليس طارئًا بل هو ممتدٌّ إلى زمنٍ بعيدٍ، ولذلك وردَ النَّظمُ بصـيغةِ الماضـي مجرَّدًا من (قد) المؤكِّدة في قوله: (مُذْ جَاوَرْتَ أَرْضَـهُم) فهو خبرٌ يقينيٌّ لا يحتاجُ إلى التأكيدِ لأنَّ الأمرَ مشـــهورٌ معروفٌ، وهذا من قبيلِ النَّظْمِ القُرآنيِّ الكريمِ عندما نجدُ أنَّ الله تعالى يستخدمُ هذه الصِّيغةَ التي لا تحملُ تأكيداتٍ، وإنَّما تُصاغُ بطريقةٍ تدلُّ على أنَّها واقعٌ لا اختلاف عليه، ولذلك جاءت كثيرٌ من الآياتِ الكريمةِ تحمِلُ صـيغةً خبريَّةً فعلها ماضٍ بلا توكيدٍ، فكأنَّها معانٍ تدلُّ على تحصيلِ الحاصِلِ، كما في قوله تعالى: **{ خَتَمَ ٱللَّهُ**

عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ } [سورة البقرة: 7]

جاء الفعل الماضي (خَتَمَ) بلا توكيدٍ لأنَّ قدرةَ الله تعالى لا يُمكنُ مُناقشتُها أو مُعارضتُها، فهو أمرٌ لا يحتاجُ إلى توكيدٍ.

وننتقلُ إلى صُورةِ سيفِ الدولةِ أمامَ صُورَتَيْ جيشِهِ والرُّومِ، فنجدُ أبا فراس يُعبِّرُ عن ذلك في صُورةٍ كلاميَّةٍ انْتَقَلَ في صِيَاغَتِهَا مِنَ الفِعْلِ الماضي إلى الفِعْلِ المُضارعِ، وذلك ليؤكِّدَ صورةَ القائدِ أمامَ ما يواجِهَهُ من أمورٍ صعبةٍ، فهو لم ييئسْ، ولم يتراجعْ عن مقاصِدِهِ بل استمرَّ يقودُ الجَّيشَ بشجاعةٍ وإقدامٍ فجاءَ النَّظْمُ مُلائمًا ذلك، فاستخدمَ جُملةً خبريَّةً قدَّمَ فيها الظَّرف (يوم) على الفعل المضارع (تزُورُ) ليؤكِّدَ الزَّمنَ الذي يستمِرُّ ويتجدَّدُ.

وجاء الفعل المضارع الثاني (يَثْنِيكَ) بعد الاسم النَّكرة (ضَجَر)، فإذا كانت الجملةُ صفةً لـ (ضَجَر) فهو يريدُ بالصِّفةِ التوكيدَ على عدمِ ضَجَرِ القائدِ وإنْ ضَجِرَ جُنُودُهُ.

وهكذا تتبدَّى صورة الواقع، وتُلخَّص في ثباتها، وعدم تحوُّلها وكأنَّها صورةٌ تدعوا إلى اليأس لكن القائد يبقى متفائلًا على ما في الصُّورة من سوداويَّة.

وينتقل الشاعر إلى مسالك معنويَّة أخرى حين يصوِّر لنا أعداء آخرين لسيف الدولة، وتأتي صورةُ النَّظْمِ في هذه الصُّورةِ بصيغةِ الفِعْلِ الماضي المجرَّد من التَّوكيد في قوله: (تَوَهَّمَتْكَ)، والمتَّصل بـ (قد) في قوله: (قد تكنَّفَكَ).

وحين ننظُرُ إلى الصِّيغةِ الأولى نجدُ أنَّ الشَّاعِرَ استخدمَ الفعل الماضي على وزن (تَفَعَّل)، ولا بدَّ من تحليل هذه الصـــيغة، وما يقابلها من الصِّـــيغةِ الأُخرى التي جاءت على وزن (تفعَّل) لكنَّها متَّصلة بالتوكيد (قد).

ففي الأولى تدلُّ الصِّـيغةُ على تكلُّف بني كلاب للوهم، وجاءت الصِّـيغةُ الصَّـرفيَّةُ للفعل (تَوَهَّم) على وزن (تَفَعَّل) للمُبالغةِ والتَّكثيرِ، فهي تعلمُ أنَّ سيفَ الدولةِ لن يُسامِحَها على ما فعلت، لكنَّها تُريدُ تصديقَ أنَّ سيفَ الدولةِ لا يقصدها في هذه المعركة.

وجاءت الجملة الفعليَّة (تَوَهَّمَتْكَ) ذات فعل ماضٍ (توهَّم) غير مرتبط بأدواتٍ تدلُّ على زمن الفعل الحقيقي، فالحادثةُ الماضيةُ قد تكونُ قريبةً وقد تكونُ بعيدةً، وبما أنَّ الشَّاعِرَ يسردُ أحداثَ معركةٍ قائمةٍ فزمن الفعل الماضي ليس منقطعًا، بل هو ماضٍ يسري إلى الحاضر.

وقد حملت الجملةُ الفعليَّة (تَوَهَّمَتْكَ كِلابٌ غير قاصِـدِهَا) دلالةً على التَّعريضِ ببني كلاب، فهي قبيلةٌ غيرُ عقلانيَّة، لأنَّها تتخيَّل أشياءَ غيرَ ممكنةِ الحدوثِ، وهي أنَّ سيفَ الدولةِ قد عَفَى عنها، وأنَّه غيرُ قاصدِها حين انشغلَ بقتالِ الرُّوم.

وفي الثانية (تَكَنَّفَ) جاءت الصِّـــيغةُ الصَّـــرفيَّةُ للفعل الماضـــي على وزن (تَفَعَّلَ)، وقد جاءت مسبوقةً بـــ (قد) لغرض التَّحقيقِ وتقريبِ الزمن الماضـي من الحال، فالشَّاعرُ يُصـوِّرُ لنا واقعَ المعركةِ الذي يتجسَّـد بانشـغالِ سـيفِ الدولةِ بقتالِ الأعداءِ الَّذين أحاطوا به، وهذا ما دفع بني كلاب إلى ذلك الوهم.

وبالنظر إلى دلالة الفعلين (توهَّم) و (تكنَّف) نجدُ تقابلًا دلاليًا، فالتوهُّم قابله التكنُّف، ومن الملاحظ أنَّ الشَّاعرَ استخدمَ الصِّيغةَ الصَّرفيَّةَ (تَفَعَّل) في بناء الفعلين الماضيين، ممَّا أعطى تناغُمًا موسيقيًّا داخل البيت الشِّعريِّ من خلال الصِّيغة الصَّرفيَّة.

وبالعودة إلى دلالة البيت الشعري نجد الشاعر يسلك طريقةً خاصَّةً في بناء صورته الكلاميَّة، فقد اعتمد أسلوب التقديم والتأخير، فقدَّم التوهُّم على التكنُّف ليدلَّ على المشكلة الأساسيَّة الموجودة في الواقع، التي تجسَّدت في خيانة بني كلاب لسيف الدولة لانشغاله عنهم بقتال الروم، وإذا أعدنا ترتيب الألفاظ في سياق النظم يصبح البيت الشعري على النحو الآتي:

تَكَنَّفَكَ الأَعْدَاءُ والشُّغُلُ فَتَوَهَّمَتْكَ كِلَابٌ غَيْرَ قَاصِدِهَا

فالشَّاعرُ قدَّم ما حقُّه التأخير أثناء صياغةِ صورتِهِ الكلاميَّةِ لأهميَّته، وتغيَّرَ الموضعُ الإعرابيُّ لجُملةِ (قد تكنَّفَك الأعداءُ والشُّغُلُ) فجاءت حالًا نتيجةً لقلب المعنى، فعبَّرت عن الحالة التي كان عليها سيف الدولة وجيشه في محاربة الأعداء، فكانت سببًا في توهُّم بني كلاب.

وفي البيت السادس نجدُ الشَّاعرَ يصفُ الحالةَ التي آل إليها بنو كلاب، فقد استمرُّوا بتوهُّمهم بأنَّ سيف الدولة لا يقصدهم حتى حصل ما لم يكن بحسبانهم، وهو خروج سيف الدولة عليهم، فخيَّب آمالهم التي توهَّموها بسبب انشغالِ سيف الدولة عنهم، وقد عبَّر الشَّاعرُ عن هذا المعنى في صورةٍ كلاميَّةٍ اعتمد فيها على التقابل الدلالي بين التوهُّم والرؤية، فالتوهُّم وعدم الخبرة

وأحلام اليقظة يقابله الواقع الذي ينقضُ هذا التوهُّم، وفي ذلك مدحٌ مبطَّنٌ لســـيف الدولة، فبنو كلاب يتوهَّمون في حين سيف الدولة يمارس الفعل من خلال خروجه عليهم.

وقد جاء الفعل الماضي (رَأَى) دالًّا على الزمن الماضي المستمر بسبب ارتباطه بالفعل المضارع (تَقْدُمُه) الدال على الزمن الحاضـر والمسـتقبل، لأنَّه يريد أن يصـوِّر للمتلقِّي الحادثة التي جرت في الماضي وكأنَّها تحدث الآن، وجاءت جملة الحال (تَقْدُمُه) فضلة للمبالغة والتوكيد.

وفي مجيء (قد) قبل الفعل الماضـي (طَلَعْتَ) دلالة على التحقيق والتقريب، وجاءت جملة الحال (قد طَلَعْتَ عليهم) لإتمام المعنى وتفسير الفكرة التي ذَكَرَها سابقًا، فقد خيَّب أوهامهم وآمالهم بأنَّه لا يقصدهم من خلال خروجه عليهم لمحاربتهم، وجاء الفعل الماضي (أَمِلُوا) بعد الاسم الموصول (ما) الدَّالِّ على العموم والإبهام، فدلَّ على الزمن الماضي المنقطع، فآمال بني كلاب كانت كثيرة لكنَّها انقطعت حين رأوا ســيف الدولة وهو يقود الجيش نحوهم، وهو ما دلَّت عليه جملة الصِّــلة ذات الفعل الماضي (أَمِلُوا).

وهكذا نجد أنَّ أسلوبَ الشَّاعرِ في التَّعبيرِ عن المعنى اعتمدَ على استخدامِ الأفعالِ الماضيةِ إمَّا لتأكيدِ الفكرةِ، أو تقريبها من الزمن الحاضر من خلال دخول (قد) عليها، وكذلك استخدم الأفعال المضـارعة لتصـوير الأحداث الماضـية للمتلقِّي وكأنَّها تحدث الآن، وإلى جانب ذلك اعتمد على الجمل الحاليَّة التي جاءت بعد الجمل الفعليَّة لعدَّةِ دلالات منها: تعيين زمن وقوع الحدث، أو تبيين حالة معيَّنة، أو تفسير المعنى الذي سبقها.

ومن الجدير بالذِّكرِ أنَّ دلالةَ الفِعْلِ الماضي لا تقتصرُ على الزَّمَنِ الماضي في جميع أحوالِهِ، فقد تدلُّ صيغةُ (فَعَلَ) على الزَّمَنِ المُستقبلِ كما في أُسْلُوبِ الدعاء بالخير نحو قولنا: رضي الله عنه ورحمه الله، وكذلك يتطلَّب انتقال الزمن من الماضي إلى المستقبل في صيغة (فَعَلَ) استخدام حرف النفي (لا) في بناء الجُملة الفعليَّة، ولا سيَّما في أسلوب الدعاء السلبي، كما في قولنا: لا رحمه الله ولا رضي عنه•.[1]

ومن الصور الكلاميَّة التي جاء الفعل فيها دالًّا على الزمن المستقبل في صيغة الدعاء الإيجابي في شعر أبي فراس الحمداني قوله:[2] [من الطويل]

سَقَى اللهُ أَرْضَ الْمَوْصِلِ الْمُزْنَ إِنَّهَا لِمَنْ حَلَّهَا فَرْضٌ لَهُ الْحُبُّ وَاجِبُ

فالشَّاعر يدعو بالسُّقيا لأرضِ الْمَوْصِلِ التي حلَّها سيفُ الدولةِ الحَمْدَاني، فجاء الفِعْلُ الماضي (سَقَى) دالًّا على الزَّمَنِ المُسْتَقْبَلِ، فهو أُسْلُوبُ دُعَاءٍ إِيْجَابِيٍّ لا يتحقَّقُ الآن وإنَّما يتحقَّقُ في المُسْتَقْبَلِ، لذلك فهو صيغةٌ إنشائيَّةٌ غيرُ طلبيَّةٍ لأنَّه ليس له مُعادِل خارجي قبل النُّطقِ بِهِ، فهو يُنْشِئُ كلامًا لا يتحقَّقُ مَعْناهُ إلَّا بَعدَ التلفُّظِ بِه.

• إذا جاء الدعاء بهذه الصيغة وكان فيه نوع من اللبس ما بين الدعاء بالإيجاب أو بالسلب، فإنَّهم يضعون الواو بعد لا، نحو قولنا: هل تشتري منِّي هذه البضاعة؟ فيجيب المشتري: لا ورحمك الله.

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 28.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 33.

وإلى جانب ذلك نجدُ الشَّـــاعِرَ يُثْبِتُ فِكرةً قائمةً على الجُملةِ الخبريَّةِ، كأنَّه يقولُ: أدعو الله أنْ يَسْقِي أرضَ الموصل، فهنا كلامٌ مفهومٌ مُضْمَرٌ، فعبارةُ (أدعُو الله) أصلُ المعنى، لكنَّه حذفَ هذا الكلام، وهي جملةٌ مكوَّنةٌ مِنْ مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليه يُثْبِتُ بها الخبريَّة، فالجُمْلةُ هنا خبرٌ أعطتنا معنى الإنشاءِ، لأنَّ صيغةَ الدُّعاء (أدعو الله) أصلُها خبرٌ، إلَّا أنَّه لا يتحقَّقُ معناها إلَّا في المستقبلِ، وبعد التلفُّظ بها، فتحوَّلت من الخبرِ إلى الإنشاءِ.

ونُلاحِظُ في الشَّطْرِ الثَّاني من البيتِ أنَّ الشَّاعِرَ يُعلِّلُ السَّبَبَ في تلك الصِّيْغَةِ (صيغة الدعاء) فجاءت (إنَّ) دالَّةً على معنى التوكيد والتعليل، وتقدير الكلام: (فإنَّها لِمَنْ حَلَّها فرضٌ) فالفاء هنا استئنافيَّة تعليليَّة.

وهكذا نجدُ الجملتين (سَـــقَا اللهُ أرضَ الموصـــل المُزْنَ) و (إنَّها لِمَنْ حَلَّها فَرْضٌ) مُتَّصـــلتين مُنفصلتين، فالاتصال المعنوي تَحَقَّقَ في أنَّ الجُملةَ الثانيةَ تُعلِّل ما قبلها، أمَّا الفَصْلُ فقد تحقَّقَ في أنَّ الجُمْلَةَ الثانيةَ استئنافيَّة.

وبالوقوف على دلالة الجملة الفعليَّة ذات الفعل الماضـــي (حَلَّها) نجدُ أنَّ مجيئها بعد الاســـم الموصول (مَنْ) أفاد إيضاح الإبهام الذي حمله الاسم الموصول.

وبالعودة إلى دلالة الصُّورة الكلاميَّةِ في البيت الشعريِّ نجدُ ترابط الجمل دلاليًّا، فالشَّاعر يدعو بالسقيا لأرض الموصل لأنَّ سيف الدولة حلَّ فيها، وهذه الدعوة فرضٌ لما لسيف الدولة من فضائل، وهي دعوةٌ واجبةٌ مِنْ مُنْطَلَقِ المحبَّةِ والإخلاصِ تُجاه سيف الدولة الحمداني.

وجاءت الجملة الاسميَّة (له الحبُّ واجبُ) دالَّةً على الثبات، فهنا لدينا إثبات نسبة المسند للمسند إليه، وقد تقدَّم المسند (له) على المسند إليه (الحُبُّ) لأهميَّته، وصيغةُ الاسم (واجِبُ) تدلُّ على الاستمرارِ، أي أنَّ هذا الحب تُجاه سيف الدولة ثابتٌ ومُسْتَمِرٌّ.

ولا تقتصر دلالةُ الفعل الماضي على الزَّمنِ المُسْتَقْبَلِ في أُسْلوبِ الدعاء فحسب، بل من الممكن لبعض الأدوات أنْ تَدْخُلَ على الجملةِ الفعليَّةِ ذات الفعلِ الماضي فتنقلها من الزمن الماضي إلى المُستقبل، كما في أدوات الشرط (إنْ) و (إذا)، فكلتا الأداتين تفيدان حصول الجزاء بحصول الشَّرط في المُستقبل، كما في قولنا: إنْ جِئْتَنِي أَكْرَمْتُك، وإذا جِئْتَنِي أكرمْتُك،[1] إلَّا أنَّ الفرقَ بين الأداتين كما يقولُ الخطيبُ القزويني (– 739 هـ): " هو أنَّ الأصلَ في إنْ ألَّا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه كما تقول لصاحبك ((إن تُكرِمْني أُكْرِمْك))، وأنت لا تقطع بأنَّه يُكْرِمُك، والأصل في إذا أنْ يكون الشَّرطُ فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول: إذا زالت الشَّمْسُ آتيك، ولذلك كان الحُكْمُ النادرُ موقعًا لإن، لأنَّ النادرَ غيرُ مقطوعٍ به في غالبِ الأمرِ، وغلبَ لفظُ الماضي مع إذا لكونه أقرب إلى القطعِ بالوقوعِ نظرًا إلى اللَّفظ "[2].

ومن مجيء الجُملة الفعليَّة ذات الفعل الماضي دالَّةً على الزَّمن المُستقبل بعد أداة الشَّرطِ (إنْ) في شعرِ أبي فِراس الحَمْداني قوله في رثاء أبي المرجَّى جابر بن ناصر الدَّولة:[3] [من الكامل]

[1] ينظر: خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط4، 1996م، ص: 322.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2، ص: 117.

[3] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2 ص: 301.

أَ أَبَـا الْـمُـرَجَّـى! غَـيْـرُ حُـزْنِـيَ دَارِسٌ، أَبَـدًا عَـلَـيْـكَ، وَغَـيْـرُ قَـلْـبِـيَ سَـالِ

وَلَـئِـنْ هَـلَـكْـتَ فَـمَـا الْـوَفَـاءُ بِـهَـالِـكٍ، وَلَـئِـنْ بَـلِـيـتَ فَـمَـا الْـوِدَادُ بِـبَـالِ

فالشاعر يرثي أبا المرجَّى، ويصفُ مقدار حُزنه عليه، وقد استخدم أسلوبَ المدحِ المُبطَّن، فمدح نفسه من خلال وصف حُزن الآخرين على أبي المرجَّى بأنَّه حزنٌ ينقضي، بينما حزنه عليه لا ينقضي، وكذلك الأمرُ فيما يتعلَّقُ بسلوان قلب الآخرين عن تذكُّرِ أبي المرجَّى، بينما قلب الشاعر لا يسلاه، فهو دائم التذكُّر له.

ونجدُ الشاعر في البيت الثاني يسلك طريقةً خاصَّةً في بناء التركيب في صورته الكلاميَّة، إذ تحوَّلت دلالة الفعل الماضي في الجملتين الفعليَّتين " لإنْ هلكت فما الوفاء بهالكٍ " و " لإنْ بَليتَ فما الودادُ بِبَالِ " من الزمن الماضي إلى المستقبل، ويعود الفضل في ذلك إلى دخول (لام القسم) و (إنْ) الشرطيَّة على الفعل الماضي (هلك) و(بليَ) فأفاد القسم معنى التوكيد، وأفادت (إنْ) الشرطيَّة انتقال دلالة الحدث في الفعل الماضي إلى الزمن المستقبل، واستخدام الشاعر لأداة الشرط (إنْ) دون (إذا) دلالة على توقُّع وقوع الحدث في الزمن المستقبل، فالمرثي وإنْ بلي جسمه بعد موته إلَّا أنَّ ذِكره سيبقى حيًّا وفاءً لِما له من فضائل على أبناء قبيلته، لذلك نجد الشاعر قد استخدم في جواب الشرط جملتين اسميَّتين (فما الوفاء بهالك) و(فما الوداد ببالِ) للدلالة على ثبات واستمرار وفائه ووداده لأبي المرجَّى بعد موته.

ومن الملاحظ أنَّ الشَّاعر استخدم صيغةَ اسم الفاعل (فَاعِل) في جملة جواب الشرط (ما الوفاءُ بهالكٍ) و(ما الوداد بِبَالِ)، وذلك للدلالة على ثباتِ واســـتمرارِ الوفاءِ والوِدَادِ لأبي المُرجَّى بعد موته.

ومن ذلك أيضًا قوله:[1][من مجزوء الكامل]

وَلَـــئِـــنْ قُـــتِـــلْـــتُ، فَـــإِنَّـــمَـــا مَـــوْتُ الْـكِـرَامِ الصِّـــيـــدِ قَـــتْـــلَا

جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (قُتِلَ) دالًّا على الزمن المستقبل، والسبب في ذلك هو مجيئه بعد أداة الشرط (إنْ) في سياقِ الصُّورة الكلاميَّة، واستخدم الشَّاعر (إنْ) للدلالة على توقُّع حدوث الأمر، فالشَّـاعر أرادَ أنْ يسـتبعِدَ انتهاء أجله بالقتل، لكن إنْ حصـلَ ذلك الأمر فإنَّما هو موتٌ مُشرِّفٌ لأنَّ الكرام تموت قتلًا.

وقد جاءت الجملة الاسميَّة (موتُ الكرامِ الصِّيد قتلًا) للدلالة على إثبات نسبة المُسند إلى المُسند إليه، فأثبت الشَّاعرُ أنَّ القتلَ هو صفةٌ ملازمةٌ لموتِ الكِرامِ.

ومن تحوُّلات الزمن في الفعل الماضي إلى المستقبل مجيئه بعد (إذا) الشرطيَّة، من ذلك قول أبي فراس الحمداني مفتخرًا:[2][من البسيط]

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، القسم الثالث، ص: 329.
[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 260.

إِذَا بُلِيتُ بِنَصْلِ السَّيْفِ، مُنْصَلِتًا، فَمَا أُبَالِي أَوَالَى الدَّهْرُ، أَمْ جَافَى!

جاءت الصُّورة الكلاميَّة في البيت السابق دالَّةً على الزمن المستقبل، ذلك أنَّ الشَّاعر استخدم في سياق النَّظم (إذا) الظرفيَّة الشرطيَّة، فأخذت من الفعل الماضي (بَلِيَ) دلالته على تحقُّق وقوع الحدث، وأعطته الدلالة على الزمن المستقبل، وقد أصاب الشاعر في اختيار (إذا) للدلالة على تحقُّق شجاعته وثباته في مواجهة الأعداء عندما تسلَّط أسيافها نحوه، فهو في هذا الموقف لا يبالي بما سيحصل له عند ملاقاة الأعداء، وفي اختيار الشاعر لأداة الشرط (إذا) دون غيرها من أدوات الشرط دلالة على أنَّ تسلط السيوف من قبل الأعداء أمرٌ متوقَّع الحدوث لا محالة، ومواجهته لهم أمرٌ محتومٌ بالنسبة له، لذلك جاءت الصُّورة الكلاميَّة دالة على الغرض الذي أراده منها وهو الفخر، فهو الشَّاعر الفارس الذي لا يخشى على نفسه من رَيْبِ الزَّمانِ وتبدُّلاته إذا ما فُرِضَ عليه مواجهة الأعداء.

ومن مجيء الفعل الماضي دالًّا على الزمن المستقبل بعد (إذا) الظَّرفيَّة الشَّرطيَّة أيضًا قول أبي فراس الحمداني:[1][من الوافر]

إذا قُضِيَ الْحِمَامُ عَلَيَّ، يَوْمًا، فَفِي نَصْرِ الْهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 282.

جاء الفعل الماضي (قُضِيَ) مبنيًّا للمجهول، وحُذِف الفاعل (لفظ الجلالة) وناب عنه المفعول به (الحِمَام) لأنَّ الفاعل معروف من سياق الكلام، فالذي يقضي بالموت على الإنسان هو الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء الفعل الماضي مسبوقًا بـــ (إذا) الظرفيَّة الشَّرطيَّة، فتحوَّلت دلالة الزمن في الفعل (قَضَى) من الماضي إلى المستقبل، إلَّا أنَّه مستقبلٌ غيرُ مُحدَّدٍ في أيِّ وقتٍ، لأنَّ الذي يقضي بالموت على الإنسان هو الله عزَّ وجلَّ، والموت أمرٌ غيبيٌّ لا يعلمه إلَّا الله، لذلك أتى الشَّاعر بالظرف (يومًا) نكرةً، وبما أنَّ الشَّاعرَ مهديٌّ لنصرته الحق، بينما الأعداء أهلُ ضلالٍ لأنَّهم على باطلٍ، فإنَّه وإنْ قُتِلَ على أيديهم فذلك نصرٌ له، لأنَّه نصرٌ للهُدى على الضلال، وفي ذلك عبرةٌ، فهنا لدينا مبتدأٌ محذوفٌ مفهومٌ من سياق الكلام تقديره (عِبْرَةٌ)، وبذلك يصبح تقدير العبارة: (في نَصْر الْهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ عِبْرَةٌ)، فالشَّاعر استخدم في صورته الكلاميَّة صياغةً خاصَّةً للكلامِ، اعتمدت على التفاعل ما بين المتكلِّم والمُخاطب، وكأنَّه يطلب من المخاطب أنْ يُكمِل العبارة.

ومن الأبيات الشعريَّة التي جاء الفعل الماضي فيها دالًّا على الزمن المستقبل بعد أداتي الشرط (إنْ) و(إذا) في بيتٍ شعريٍّ واحدٍ قول أبي فراس الحمداني:[1] [من الطويل]

إذَا صُلْتُ، يَوْمًا، لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا؛ وَإِنْ قُلْتُ، يَوْمًا، لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُ!

[1] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 293.

جاء الفعل الماضي (صُلتُ) و(قُلتُ) بعد أداتي الشرط (إذا) و(إنْ) فتحوَّلت دلالةُ الفعلِ في كُلٍّ من الجملتين الفعليَّتين من الزَّمن الماضي إلى المُسْتَقْبَلِ، ففي الجُملةِ الفعليَّةِ الأولى دخلت (إذا) الظَّرفيَّة الشَّرطيَّة على الفعل الماضي (صُلْتُ) للدلالةِ على أمرٍ متوقَّع الحدوث في المستقبل، وهو ضربُ الأعداءِ بالسَّيفِ في ساحات القتال، في حين دخلت (إنْ) الشَّرطيَّة على الفعل الماضي (قُلتُ) للدلالة على أمرٍ قليل الحدوث في المستقبل بالنسبة لأفعاله في ساحة المعركة، فقد أراد أبو فراس من خلال هذا البيت أنْ يَفْخَرَ بِشجاعته وذوده عن قبيلته بسيفه وشعره، فهو الفارس الشَّاعر الذي لا يُغلب، فأفعاله في ساحات القتال من ضرب الأعداء بالسيف كثيرة، وذوده عن قبيلته بشعره وإن كان قليلًا بالنسبة لأفعاله إلَّا أنَّه لا يجد مَنْ يُجاريه بقول الشِّعْرِ.

وقد تأتي الجملة الفعليَّة في الصُّورة الكلاميَّة ذات فعلٍ مضارعٍ، وهو الفعل الذي يدلُّ في أصل وضعه على حدثٍ وقع لحظة النطق به واستمرَّ لفترةٍ من الزمن، إلَّا أنَّ دلالته الزمنيَّة قد تختلف عمَّا هو عليه في أصل الوضع، ويعود السبب في ذلك إلى ما تؤدِّيه القرائن داخل بناء الجملة الفعليَّة، فتنقل دلالة الفعل المضارع من زمنٍ لآخر.[1]

فمن مجيء الفعل المضارع دالًّا على الزَّمن الحاضر قول أبي فراس الحمداني مفتخرًا:[2] [من الطويل]

[1] ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص: 32.

[2] ديوان أبي فراس الحمداني، ج2، ص: 213.

يَـقُـولُـونَ لِـي: ((بِـعْـتَ السَّـــلَامَـةَ بِـالـرَّدَى)) فَقُلْـتُ: ((أَمَـا وَاللهِ، مَـا نَـالَنِي خُسْـــرُ))

وَهَـلْ يَـتَـجَـافَـى عَـنِّـي الْـمَـوْتُ سَـــاعَـةً، إِذَا مَـا تَجَـافَى عَنِّيَ الْأَسْـــرُ وَالضُّـــرُّ؟

من الملاحظ أنَّ الشَّـاعر اسـتخدم الفعل المضـارع (يَقُولُون) في أثناء حديثه عن أحداثٍ حدثت معه في الزمن الماضـــي، والسَّـــبب في ذلك هو أنَّه يُريدُ أنْ يَنقُلَ لنا تلك الأحداث إلى الزمن الحاضر وكأنَّها تحصل معه الآن، لذلك جاءت الجملة الفعليَّة مصدَّرة بالفعل المضارع (يَقُولُون)، وقد تبعه الجار والمجرور (لي) للدلالة على التَّخصـيص، أي أنَّ هذا التعريض مخصـوصٌ من أصـحابه، في حين اسـتخدم الفعل الماضـي (قُلْتُ) للدلالة على أمرٍ متحقِّق الوقوع، فموقفُهُ من مواجهة الأعداء لا عودة عنه، وقد حُذِف متعلِّق الفعل (لَهُم) للدلالة على العموم، أي أنَّ جوابه لكلِّ مَنْ يُعرِّض به ثابتٌ، وقد أكَّد ذلك من خلال اسـتخدامه (أما)، والقسـم (والله)، فجاء الخبر إنكاريًّا للتأكيد على ثباته عند موقفه في مواجهة الأعداء.

وفي قوله: (بِعْتَ السَّـلامَةَ بِالرَّدى) صـورةٌ كلاميَّةٌ حَمَلَتْ دلالةً على التَّعريضِ بالشَّـاعِرِ مِنْ قِبَلِ أصـحابه لأنَّه فضَّـل الموتَ أو الأسـرَ على سـلامةِ نفسِـهِ بالفرار، فالفعل الماضـي (بِعْتَ) من الأضداد، وهذا الأسلوبُ معروفٌ في كلامِ الشُّعراءِ، إذ يحمِلُ دلالةً على البيعِ والشِّراءِ، فالشَّاعِرُ اشترى سلامةَ نفسِهِ بالموتِ، لأنَّ الموتَ أمرٌ حاصلٌ لا محالة، فكأنَّ الشَّاعر أرادَ القولَ: إنَّ أمر مواجهة الأعداء لنيل السلامة من الموت المحتوم عليَّ قد حُسمَ أمره، فلا مفرَّ للإنسان من الموت

سـواء أكان حرَّاً طليقًا أو في الأسـر، فإنَّ كان لا بدّ من الموت فليكن موتًا مشـرِّفًا في سـاحات القتال.

ثانيًا: نتائج البحث:

1- يعدُّ الفعل الرُّكن الأساس في تركيب الجملة الفعليَّة، فعليه مناط التعلُّق ونواته، فهو يدلُّ على الحدث والزَّمن والفاعل، إلَّا أنَّ دلالته تبقى مبهمة إلى أنْ يكتمل تركيب الجملة الفعليَّة التي تزيل إبهامه.

2- اعتمد الشَّـاعر في أسـلوبه – غالبًا – على اسـتخدامِ الأفعالِ الماضـيةِ إمَّا لتأكيدِ الفكرةِ، أو تقريبها من الزمن الحاضـر من خلال دخول (قد) عليها، وكذلك اسـتخدم الأفعال المضـارعة لتصـوير الأحداث الماضـية للمتلقِّي وكأنَّها تحدث الآن، وإلى جانب ذلك اعتمد على الجمل الحاليَّة التي جاءت بعد الجمل الفعليَّة لعدَّةِ دلالات منها: تعيين زمن وقوع الحدث، أو تبيين حالة معيَّنة، أو تفسير المعنى الذي سبقها.

3- تعد القرائن الداخلة على تركيب الجملة الفعليَّة ركنًا أساسًا في توجيه دلالة الزَّمن في الأفعال، ومن هنا نلاحظ أنَّ دلالة الأفعال على الزمان لا تتحدَّد بصيغتها التي تُصاغ منها فحسب، وإنَّما يتمُّ تحديد زمانها من صـيغتها الصـرفية وبناء الجملةِ وما تتضـمَّنه من زياداتٍ تُعينُ الفِعْلَ على تقرير الزمان في حدود واضحة.

4- تعدُّ بعضُ أدوات الشَّـرط ركنًا أسـاسًـا في توجيه دلالة الزَّمن في تركيب الجملة الفعليَّة ذات الفعلِ الماضي، فتنقلها من الزمن الماضي إلى المُستقبل، كما في أداتَي الشرط (إنْ) و (إذا).

ثالثًا: المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

- القرآن الكريم.

1- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدَّة، د.ط، د.ت.

2- الإيضـــاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط3، 1993م، ج2.

3- الخصائص، ابن جنِّي، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريَّة، المكتبة العلميَّة، د.ط، د.ت، ج3.

4- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـــاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م.

5- ديوان أبي فراس الحمداني، تح: سـامي الدهَّان، المعهد الفرنسـي بدمشـق للدراسـات العربيَّة، دمشق، د.ط، 1944م.

6- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة – مصـر، ط3، 1988م، ج1.

7- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الانصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ج1.

8- مفتاح العلوم، السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م.

- **المراجع العربيَّة:**

1- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة – مصر، ط1، 1994م.

2- خصائص التراكيب (دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني)، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط4، 1996م.

3- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط3، 1983م.

- **المجلَّات:**

1- تحليل الجملة الفعلية، محمد إبراهيم البنا، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1984م.

الدبلوماسية البريطانية ـ الفرنسية في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر(البعثات والمعاهدات أهدافها وبنودها ونتائجها)

الدكتور المشرف : علاء الدين بور .

الدكتور المشارك : ربيع عثمان

الطالبة : سناء محمد يوسف .

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة شاملة للنشاط الدبلوماسي والتجاري البريطاني والفرنسي في سلطنة عُمان خلال الفترة ما بين1800 و1856م، وهي مرحلة شهدت تكثيف البعثات الرسمية وتوقيع معاهدات محورية، في إطار تنافس استعماري على السيطرة على طرق التجارة والممرات البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

تناول البحث البعثات البريطانية، بدءًا من تأثير السير جون مالكوم غير المباشر، مروراً بمهمات الكابتن ديفيد سيتون، وهنري ريلووك، وهنري هارت، وصولاً إلى الدور البارز للقنصل أتكينز هامرتون في زنجبار، مع تحليل المعاهدات الكبرى مثل اتفاقية الصداقة لعام 1798، ومعاهدة 1800، ومعاهدة مورسبي 1822، ومعاهدة التجارة والملاحة 1839، وانتهاءً بدور بريطانيا في تقسيم السلطنة عام 1856، كما استعرض المبحث الثاني البعثات الفرنسية، التي سعت لمزاحمة النفوذ البريطاني عبر محاور دبلوماسية وتجارية متعددة.

وتوصلت الدراسة إلى أن بريطانيا نجحت في ترسيخ حضور طويل المدى في عمان عبر الدمج بين النشاط الدبلوماسي والمعاهدات ذات الطابع التقييدي، بينما ظل الحضور الفرنسي محدود التأثير رغم محاولاته المستمرة. كما أظهرت النتائج أن السياسة العُمانية اتسمت بالحذر والانفتاح المشروط، حفاظاً على التوازن بين القوى الأوروبية وحماية المصالح الوطنية.

الكلمات المفتاحية: عمان، بريطانيا، فرنسا، القرن التاسع عشر، البعثات الدبلوماسية، المعاهدات الدولية، الخليج العربي.

British-French diplomacy in Oman during the first half of the nineteenth century. the first half of the nineteenth centur (Missions and treaties ,their objectives, clauses and results)

Abstract

This research presents a comprehensive study of British and French diplomatic and commercial activities in the Sultanate of Oman during the period from 1797 to 1861, a time marked by an Increase in official missions and the signing of pivotal treaties within the context of colonial competition for control over trade routes and maritime passages In the Arabian Gulf and the Indian Ocean.

The study addresses British missions, starting with the indirect Influence of Sir John Malcolm, followed by the missions of Captain David Seaton, Henry Rilowk, and Henry Hart, culminating in the prominent role of Consul Atkin Hamerton in Zanzibar. It analyzes major treaties such as the Treaty of Friendship in 1798, the Treaty of 1800, the Moresby Treaty of 1822, and the Treaty of Trade and Navigation In 1839, concluding with Britain's role In the division of the Sultanate in 1856. The second section examines French missions that sought to challenge British influence through various diplomatic and commercial avenues.

The study concludes that Britain succeeded in establishing a long-term presence in Oman by combining diplomatic activity with restrictive treaties, while the French presence remained limited in impact despite their continuous efforts. The results also Indicate that Omani policy was characterized by caution and conditional openness, aimed at maintaining a balance between European powers and protecting national interests

المقدمة

Keywords: Oman, Britain, France, nineteenth century, diplomatic missions, international treaties, Arabian Gulf.

شهدت سلطنة عُمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مرحلة شديدة الأهمية في تاريخها السياسي والعلاقات الدولية، حيث أصبحت موضع اهتمام القوى الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا، اللتين دخلتا في منافسة حادة للسيطرة على طرق الملاحة والتجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وقد انعكست هذه المنافسة في إرسال بعثات دبلوماسية وتجارية متكررة، وتوقيع سلسلة من المعاهدات التي تجاوزت طابع الصداقة والتبادل التجاري إلى ترتيبات سياسية واستراتيجية أثّرت على سيادة الدولة العُمانية.

لقد مثّل الموقع الجغرافي لعُمان، إلى جانب امتداد نفوذها البحري حتى زنجبار وشرق إفريقيا، عامل جذب استراتيجي للقوى الاستعمارية، التي وجدت فيها شريكاً لا غنى عنه لتحقيق مصالحها، وفي الوقت ذاته ساحة صراع لإقصاء الطرف المنافس، ووسط هذا التنافس أبدت القيادة العُمانية ممثلة بالسلاطين من آل بوسعيد، مرونة دبلوماسية وحنكة سياسية مكّنتها من الموازنة بين علاقاتها مع الطرفين، مع محاولة الحفاظ على استقلال القرار الوطني في مواجهة الضغوط المتزايدة.

يأتي هذا البحث ليدرس بعمق طبيعة البعثات البريطانية والفرنسية إلى عمان بين عامي 1800 و1856م، والمعاهدات التي أبرمت خلالها، وردود الفعل العُمانية عليها، مع تحليل الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه التحركات، في ضوء سياق التنافس الدولي في المنطقة.

أولاً- إشكالية البحث

تكمن إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي :

كيف أثرت البعثات الدبلوماسية والمعاهدات البريطانية والفرنسية على السيادة السياسية والمصالح الاستراتيجية لسلطنة عُمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر؟

ويتفرع عن ذلك عدة تساؤلات فرعية، منها:

1. ما أهداف تلك البعثات والاتفاقيات من منظور القوى الأوروبية؟
2. كيف كانت ردود الفعل العُمانية تجاه هذه التحركات؟
3. ما أوجه التشابه والاختلاف بين النهج البريطاني والفرنسي في التعامل مع عمان؟

ثانياً - أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يقدم دراسة مقارنة ومعمقة للعلاقات العُمانية مع قوتين أوروبيتين متنافستين، بريطانيا وفرنسا، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي مرحلة أساسية في تشكل النظام السياسي في الخليج العربي. ويسهم البحث في:

1. توثيق وتحليل طبيعة البعثات الدبلوماسية والتجارية البريطانية والفرنسية إلى عمان، وربطها بالسياق الاستعماري الأوسع في المحيط الهندي والخليج.

2. إبراز دور المعاهدات الثنائية في إعادة تشكيل موازين القوى، خاصة ما يتعلق بالسيادة العُمانية والهيمنة البحرية الأوروبية.

٣. توضيح الاستراتيجية العُمانية في التعامل مع القوى الكبرى، من خلال سياسة الحذر والانفتاح المشروط للحفاظ على استقلال القرار السياسي.

4. إثراء المكتبة العربية بدراسة أكاديمية تجمع بين البعد الدبلوماسي والتجاري، وتربط الأحداث المحلية بالتفاعلات الدولية الكبرى.

ثالثاً - فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضيات التالية:

1. أن النشاط الدبلوماسي البريطاني في عمان خلال الفترة 1800–1856م) كان أكثر انتظامًا وتأثيرًا من نظيره الفرنسي، مما أتاح لبريطانيا فرض نفوذ طويل المدى عبر المعاهدات والتمثيل الدائم.

2. أن المعاهدات الموقعة، خاصة معاهدات 1798، 1800، 1822، 1839، أسهمت في تقييد حرية السلطنة في رسم سياساتها البحرية والتجارية، رغم أنها أظهرت في ظاهرها طابع التعاون والصداقة.

3. أن السياسة العُمانية اعتمدت على مبدأ التوازن الدبلوماسي بين القوى الأوروبية، لتفادي الخضوع التام لأي طرف، لكنها لم تتمكن من منع التدخلات الأجنبية في القضايا الداخلية، مثل تقسيم السلطنة عام 1856م.

رابعاً - حدود البحث

الحدود الزمنية: يغطي البحث الفترة الممتدة من عام 1800م حتى عام 1856م، وهي مرحلة شهدت تكثيف البعثات البريطانية والفرنسية إلى عمان، وتوقيع أهم المعاهدات الثنائية، وانتهت بحدث مفصلي هو تقسيم السلطنة.

الحدود المكانية: سلطنة عمان بموانئها ومناطق نفوذها البحري في الخليج العربي والمحيط الهندي، مع الإشارة إلى زنجبار وشرق إفريقيا بوصفها امتدادًا استراتيجيًا للسلطنة.

الحدود الموضوعية: دراسة البعثات والمعاهدات البريطانية والفرنسية مع عمان، وتحليل ردود الفعل العُمانية عليها، دون التطرق إلى العمليات العسكرية إلا بقدر ارتباطها المباشر بالتحركات الدبلوماسية.

خامساً - منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع المعلومات من المصادر الأولية (المعاهدات، الوثائق الأرشيفية، المراسلات الدبلوماسية) والمصادر الثانوية (الدراسات الأكاديمية والأبحاث التاريخية الحديثة)، ثم تحليلها في ضوء السياق الإقليمي والدولي في القرن التاسع عشر.

كما استخدم البحث المنهج المقارن للموازنة بين أساليب بريطانيا وفرنسا في التعامل مع عمان، وقياس أثر كل منهما على سيادة الدولة وسياساتها الخارجية. وقد تم تتبع مسار الأحداث وفق تسلسلها الزمني، مع تحليل دوافع كل بعثة ونتائجها، وبيان أثر المعاهدات على الواقع السياسي والاقتصادي للسلطنة.

سادساً - الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية

1. البوسعيدي، سيف بن علي (2005) – **العلاقات العمانية – البريطانية في القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس.

تناولت هذه الرسالة طبيعة المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع عمان، وخاصة معاهدة الصداقة عام 1798، وأثرها في تعزيز النفوذ البريطاني في الخليج العربي.

ركزت الدراسة على البعد السياسي للعلاقات الثنائية، لكنها لم تتوسع في تناول النشاط الدبلوماسي الفرنسي أو المقارنة بين الطرفين.

2. الحارثي، خميس بن سعيد (2010) – **السياسة الخارجية لسلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإسكندرية.

ركزت الأطروحة على امتداد النفوذ العُماني إلى زنجبار، وانعكاسات ذلك على التوازن الإقليمي في المحيط الهندي، مع إشارات محدودة للتنافس البريطاني – الفرنسي، لكنها لم تقدم دراسة مقارنة منهجية بين أساليب الطرفين في التعامل مع عمان.

3. الشقيري، ناصر (2016) – **المعاهدات الدولية وأثرها على سيادة عمان في القرن التاسع عشر**، بحث محكّم، مجلة الخليج للتاريخ والآثار.

تناول البحث الأبعاد القانونية للمعاهدات التي أبرمتها عمان، بما في ذلك بعض المعاهدات الفرنسية، لكنه جاء مختصرًا في الجانب التاريخي والدبلوماسي، ولم يربط الأحداث بسياقها الدولي الواسع.

ثانيًا: الدراسات الأجنبية

1- Kelly, J.B. (1968) – Britain and the Persian Gulf 1795–1880، كتاب

يقدم هذا العمل تحليلاً معمقاً للسياسة البريطانية في الخليج العربي، ويولي اهتماماً بالعلاقات البريطانية – العمانية بوصفها جزءاً من الاستراتيجية البريطانية الشاملة في المحيط الهندي، لكنه لم يتناول الدور الفرنسي إلا بشكل عرضي.

2- Miles, Samuel Barrett (1919) – The Countries and Tribes of the Persian Gulf، كتاب

يعد من الأعمال الكلاسيكية التي تصف الأوضاع السياسية والقبلية في الخليج، ويتضمن معلومات مهمة عن المعاهدات البريطانية – العمانية، لكنه يفتقر إلى التحليل المقارن للتنافس البريطاني – الفرنسي.

3- Bidwell, Robin (1975) – Travels in Arabia Deserta، كتاب .

تضمن إشارات لبعض التحركات الدبلوماسية لكل من بريطانيا وفرنسا في عمان، لكنه جاء في سياق وصفي ورحلات ميدانية أكثر منه دراسة تاريخية تحليلية متكاملة.

سابعاً – الإطار النظري

أولاً : البعثات الدبلوماسية والتجارية البريطانية إلى عُمان نتائجها وردود الفعل العُمانية (1800–1861م)

1- بعثة السير جون مالكوم (1800–1820م)

يُعد السير جون مالكوم من أبرز الشخصيات الدبلوماسية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في مطلع القرن التاسع عشر، وقد برز اسمه ضمن الاستراتيجية العامة للتوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي، وعلى الرغم من أن مالكوم لم يقم ببعثة مباشرة إلى سلطنة عُمان إلا أن تأثيره كان حاضراً بشكل غير مباشر من خلال مشاركته في تشكيل السياسة البريطانية الإقليمية، خصوصاً عبر بعثاته المتعددة إلى بلاد فارس وكتاباته المؤثرة في دوائر صنع القرار البريطاني، و قاد مالكوم ثلاث بعثات رئيسة إلى بلاد فارس: [1]

1. الأولى في عام 1800–1801.
2. الثانية عام 1808–1809 بالاشتراك مع السير هارفورد جونز.
3. الثالثة عام 1810.

تمحورت هذه البعثات حول تأمين مصالح بريطانيا في مواجهة النفوذين الفرنسي والروسي، وإعادة بناء التحالفات الاستراتيجية في المنطقة، وبالرغم من تركيزه الدبلوماسي على بلاد فارس، فقد شكّلت تقاريره وكتبه لا سيما *"عرض تاريخي للوضع السياسي في الهند "*(1811)، و"تاريخ بلاد فارس " (1815)، مصادر مهمة ساعدت في بلورة الرؤية البريطانية تجاه منطقة الخليج، بما في ذلك عُمان [2].

[1] لوريمر ،(ج): دليل الخليج القسم التاريخي ،قسم الترجمة بمكتب صاحب السموأمير دولة قطر ،الدوحة،د.ط،د.ت،ج1،ص270.

[2]-Al-Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920. PhD thesis, University of Glasgow.,.

يُلاحظ أن التأثير غير المباشر لمالكوم تمثل في دعمه لتوسيع النفوذ البريطاني في الخليج العربي، وفي مساهمته في رسم السياسات العامة لشركة الهند الشرقية تجاه الحكام المحليين في المنطقة، كما أسهمت معارفه وتحليلاته السياسية والاجتماعية في تمهيد الطريق لبعثات دبلوماسية وتجارية لاحقة إلى سلطنة عُمان، مثل بعثات ديفيد سيتون والكابتن بيلي، والملازم بروس، أما فيما يتعلق برد الفعل العُماني فقد اتسم عموماً بالحذر والانفتاح المشروط، إذ رحب السيد سلطان بن أحمد، حاكم عُمان آنذاك، بأي مسعى يعزز من المصالح المشتركة، لكنه كان مدركاً في الوقت ذاته للبعد الاستعماري الكامن في التحركات البريطانية، هذا التوازن العُماني في التعامل مع القوى الأجنبية عكس فطنة سياسية ساهمت في الحفاظ على استقلال القرار العُماني لفترة طويلة [3].

2- بعثة الكابتن ديفيد سيتون (1800–1804)

أوفدت حكومة بومباي الكابتن ديفيد سيتون رسمياً كمقيم سياسي بريطاني في مسقط عام 1800، كجزء من جهود الإمبراطورية البريطانية لتوسيع النفوذ التجاري والسياسي في منطقة الخليج ومواجهة التمدد الفرنسي في سلطنة عُمان وسواحلها، وتم تكليفه بتوطيد العلاقات مع السلطان سعيد بن سلطان، وضمان أمن الملاحة البريطانية نحو الهند. وكان رد فعل المسؤولين العُمانيين، لا سيما السلطان سعيد حذراً نتيجة تكرار البعثات البريطانية، الأمر الذي دفعهم لأخذ موقف مشروط تجاه سياسة لندن المستقبلية، وكان هذه الحذر العُماني لم يقتصر على استجابة دبلوماسية بل كان يعكس وعياً استراتيجياً بمخاطر النفوذ الاستعماري [4].

تشير الوثائق البريطانية في يوميات سيتون، إلى أن بعثته لم تحقق أهدافها الدبلوماسية بالكامل مقارنة بما أنجزته بعثة مالكوم، إلا أن أثرها كان واضحاً في تمهيد الطريق أمام بعثات لاحقة أكثر

[3] - Sir John Malcolm , The History of Persia, from the Most Early Period to the Present Time , London: John Murray, 1815, p 462-464.

[4] - Hilal Hajari, Oman through British Eyes: British Travel Writing on Oman from 1800 to 1970, University of Warwick, 2003.

تنظيماً واستهدافاً ، وهو ما ساهم في ترسيخ الوجود البريطاني كقوة سياسية فاعلة في الخليج مطلع القرن التاسع عشر.

أهم أحداث بعثة سيتون (1800–1804):

1. تعيينه كمقيم سياسي في مسقط (1800).

2. بدء المراسلات مع السلطان سعيد حول النفوذ الفرنسي وأمن الملاحة (1801–1802).

3. طلب مقر دائم وبدلات إضافية (1803).

4. تصاعد التوتر مع السلطنة وتجميد بعض الصلاحيات (1804) [5]

3- بعثة العقيد هنري ريلووك إلى عمان (1821)

تأتي بعثة الكولونيل هنري ريلوك ضمن سلسلة البعثات البريطانية التي هدفت إلى تدعيم الحضور البريطاني في الخليج العربي، ولا سيما في سلطنة عمان، التي كانت تمثل نقطة استراتيجية هامة على طرق الملاحة إلى الهند، وقد أُرسل ريلوك في عام 1821م بتكليف مباشر من حكومة بومباي، وكان من أبرز مهامه متابعة تنفيذ الاتفاقيات السابقة، وبحث سبل تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي مع السيد سعيد بن سلطان الذي كان قد بسط سلطته على عمان وزنجبار آنذاك [6].

تميزت هذه البعثة بطابع سياسي أكثر من كونها تجارية، إذ حمل ريلوك رسالة دبلوماسية رسمية تؤكد دعم بريطانيا لحكم سعيد بن سلطان، وتشير إلى رغبة بريطانيا في استمرار علاقات التحالف مع عمان في مواجهة التحركات الفرنسية المتزايدة، خاصة بعد نشاط بعض البعثات الفرنسية في

[5] - David Seton ,The Journals of David Seton in the Gulf, 1800–1809, University of Exeter Press, 1995, 1-25.

[6]- محمد العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1998، ص 147..

البحر الأحمر واليمن. كما سعت البعثة إلى جمع معلومات استخباراتية حول النفوذ الفرنسي في المنطقة وحركة السفن الأوروبية المنافسة [7].

قوبلت البعثة البريطانية بالترحيب الرسمي من قبل السلطان سعيد، لكنها لم تكن خالية من الحذر فقد كانت السلطات العمانية تدرك بوضوح الأطماع الاستعمارية الكامنة خلف التوسع الدبلوماسي البريطاني، لا سيما أن بريطانيا لم تكن تكتفي بالعلاقات المتوازنة، بل كانت تسعى لإعادة تشكيل النظام الإقليمي في الخليج وفقاً لمصالحها، ومع ذلك فقد استفادت عمان من هذه البعثات في توثيق علاقاتها الدولية وتحقيق بعض التوازنات في ظل التنافس الدولي.

وكان هناك عدة أنشطة والنتائج الإقليمية:

١. التفاوض لتعميق التحالف مع السلطان سعيد.

٢. مراقبة الفصائل القبلية البحرية، خاصة القواسم.

٣. دعم عمليات بريطانية للقضاء على القرصنة في الخليج.

٤. تمهيد الأراضي لعلاقات سياسية موسعة وشبه حماية بريطانية لعُمان في السنوات العشرين التالية [8].

4- بعثة الكابتن هنري هارت البريطانية إلى عُمان (1822)

[7]- علي ناجح محمد، التنافس البريطاني الفرنسي في عُمان 1806 -1829. مجلة كلية المعارف الجامعة، ٢٠١٩، جامعة الموصل ، ص ١٩.

[8]- George Percy Badger , History of the Imāms and Seyyids of ’Omān، London: Printed for the Hakluyt Society، 1871, p254.

تم تعيين الكابتن هنري هارت في عام 1822 وكيل سياسي بريطاني إلى سلطنة عمان، في خضم جهود بريطانية مكثفة لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي في الخليج، مستفيدة من تجارب مسبقة لوكلاء مثل ديفيد سيتون وهنري ريلووك، كان هدفه الرئيسي تعزيز العلاقات مع السلطان سعيد بن سلطان وحماية المصالح البريطانية في الممرات البحرية الاستراتيجية، والتنبه للنفوذ الفرنسي والأوروبي، كما شمل دور البعثة دعم حملات مكافحة القرصنة، وخاصة تلك المرتبطة بقبيلة القواسم والتفاوض على اتفاقيات تجارية لتحقيق المصالح البريطانية في المنطقة [9].

ومن أهم الأنشطة والنتائج في الوقت آنذاك:

1. إجراء مفاوضات دبلوماسية مباشرة مع السلطان سعيد وزعماء محليين.

2. تنسيق بين البحرية البريطانية والسلطات العمانية للقضاء على نشاطات القراصنة.

3. إرسال تقارير سياسية واقتصادية إلى لندن لتقييم الوضع في السلطنة.

4. التفاوض على اتفاقيات أولية للتعاون السياسي والتجاري.

لم تُحقق بعثة هارت كافة أهدافها مقارنة بما أنجزته بعثات سيتون وريلووك، إلا أنها أسهمت بشكل واضح في ترسيخ الحضور الرسمي لبريطانيا في عمان، ومهدّت الطريق لعلاقات أكثر وضوحاً وتنظيماً خلال القرن التاسع عشر [10] .

5- بعثة القنصل أتكينز هامرتون (Atkins Hamerton) إلى زنجبار (1840–1857)

[9] - James Onley (2004)، Britain's Native Agents in Arabia and Persia in the Nineteenth Century", Comparative Studies of South Asia Africa and the Middle East.
[10] -Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920.PhD thesis.

شكّلت بعثة الكابتن أتكينز هامرتون (Atkins Hamerton) إلى زنجبار واحدة من أبرز محطات التمثيل الدبلوماسي البريطاني في شرق إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، إذ عُيِّن هامرتون أول قنصل بريطاني دائم في المنطقة عام 1840م، ليُقيم في مدينة زنجبار الخاضعة آنذاك لنفوذ السلطنة العُمانية بقيادة السلطان سعيد بن سلطان، حيث جاء هذا التعيين في سياق التحول الاستراتيجي للسياسة البريطانية من سياسة البعثات المؤقتة إلى التمثيل الدائم، بما يعكس تزايد أهمية شرق إفريقيا ضمن أولويات المصالح البريطانية في المحيط الهندي والخليج العربي [11].

. ارتبط تعيين هامرتون بتحوّل مركز ثقل السلطنة من مسقط إلى زنجبار، حيث أسّس السلطان سعيد بن سلطان هناك قاعدة سياسية واقتصادية جديدة، ما دفع بريطانيا إلى تعزيز وجودها المباشر لمراقبة مجريات الأمور، ومواكبة تصاعد النفوذ الفرنسي في السواحل الإفريقية خاصة بعد محاولة باريس توطيد علاقاتها مع السلطنة عبر التبادل التجاري والمراسلات الرسمية. وفي هذا الإطار، كُلّف هامرتون بمهام متعددة شملت مراقبة التحركات الفرنسية، والإشراف على تنفيذ الاتفاقيات البحرية البريطانية-العُمانية، وضبط الأنشطة التجارية، إلى جانب الضغط الدبلوماسي على السلطان لإلغاء

تجارة الرقيق، وهي المهمة التي تبنّتها بريطانيا كسياسة أخلاقية وإستراتيجية في آن واحد [12].

خلال فترة عمله التي امتدت لقرابة 17 عاماً، نسج هامرتون علاقات مع السلطان العُماني تميّزت بالتقارب السياسي من جهة والتوتر أحياناً من جهة أخرى، لاسيما حين تعارضت المصالح البريطانية مع السيادة العُمانية، ومع ذلك، نجح في إبرام ما عُرف بـ"اتفاقية هامرتون" عام 1845م، والتي هدفت إلى منع تصدير العبيد من زنجبار إلى الخليج العربي، إلا أن تنفيذ الاتفاق

[11]- Fatima Al-Hatimiyah & Muhammad Al-Tarawneh (2022), the journey of Captain Hammerton from Muscat to Zanzibar in the year 1257 AH / 1841 AD – Study and investigation. Journal of Misan Researches, 18(35), 160–197.

[12]- موقع الكتروني تم وضعه من قبل الباحثة : https://www.pdavis.nl/Frere.htm?utm ، تاريخ الوصول 2025/7/4.

واجه صعوبات عملية نتيجة للتركيبة الاقتصادية والسياسية المعقدة في المنطقة، وقد أدت بعثة هامرتون دوراً محورياً في ترسيخ الحضور البريطاني في زنجبار، ووفّرت لبريطانيا قناة مباشرة لرصد الأنشطة الفرنسية في البحر الأحمر والساحل الشرقي لإفريقيا، كما ساهمت في توثيق المعلومات الاستخباراتية المتعلقة بالمنطقة، الأمر الذي مهّد لاحقاً لتدخّل بريطانيا في شؤون الحكم بعد وفاة السلطان سعيد عام 1856م، حيث استخدمت لندن وجودها الدبلوماسي للتأثير في الصراع على خلافة الحكم بين أبنائه.[13]

ثانياً : المعاهدات البريطانية – العمانية

١ـ معاهدة الصداقة البريطانية – العُمانية لعام 1798:

تُعد معاهدة الصداقة التي وُقعت بين سلطنة عُمان وبريطانيا عام 1798 إحدى أبرز محطات التفاعل السياسي بين الخليج العربي والقوى الاستعمارية الأوروبية في نهايات القرن الثامن عشر، حيث جاءت هذه المعاهدة في سياق تصاعد التنافس الدولي على النفوذ في المحيط الهندي، وخصوصاً بين بريطانيا وفرنسا، وكانت تمثل حجر الزاوية في بدء مرحلة جديدة من العلاقات البريطانية العمانية التي استمرت لعقود طويلة [14].

أولاً: السياق التاريخي

[13]- Al-Mukadam, Mohammed, "A Survey of Diplomatic and Commercial Relations Between the United States and Oman in Zanzibar, 1828-1856" (1990).

[14] -Robert Alston & Stuart Laing, A History of the British-Omani Relations 1650-1970 , Gilmarsh Publishing, 2013.

شهدت نهايات القرن الثامن عشر حالة من التنافس الأوروبي على طرق التجارة البحرية إلى الهند، وكانت عُمان – بحكم موقعها الاستراتيجي المطل على بحر العرب والمحيط الهندي – تمثّل نقطة ارتكاز حيوية. وقد ازدادت أهمية عُمان بالنسبة لبريطانيا بعد الحملة الفرنسية على مصر (1798)، حيث خشي البريطانيون من اتساع النفوذ الفرنسي إلى الخليج العربي، وخصوصاً في ظل مساعي فرنسا للتواصل مع حكّام الخليج وتحريضهم ضد البريطانيين [15].

في هذا السياق، وجدت بريطانيا في السلطان سعيد بن أحمد بن سعيد، الذي كان يحكم عُمان آنذاك، شريكاً مثالياً لعقد تحالف يحمي مصالحها التجارية والسياسية، وكان السلطان منفتحاً على التعاون بشرط الحفاظ على السيادة العُمانية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

ثانياً : نصوص المعاهدة

تم توقيع معاهدة الصداقة بين المبعوث البريطاني ديفيد سيتون وسلطان عمان بتاريخ 12 أكتوبر 1798. وقد احتوت المعاهدة على عدة بنود، من أبرزها [16] :

1. احترام السيادة العُمانية وعدم تدخل بريطانيا في الشؤون الداخلية للدولة.

2. ضمان سلامة السفن البريطانية في الموانئ العُمانية، والسماح لها بالرسو والتزود بالمؤن دون عوائق.

[15]- Treaty of Friendship,Commerce and Navigation between His Majesty in respect of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Sultan of Muscat and OmanMuscat, 20th December, 1951.

[16]- سمير محمد علي، العلاقات العُمانية البريطانية (1798–1856). مجلة العلوم الاجتماعية، مجلّد 14، عدد 3 ، 307–310.

3. تسهيل التجارة البريطانية داخل الأراضي العُمانية، مع تقديم تسهيلات جمركية وتجار مخولين بالتعامل.

4. تعهد عُماني بعدم السماح لأي قوة أوروبية (خاصة فرنسا) باستخدام موانئ السلطنة ضد المصالح البريطانية.

كانت هذه البنود تُشكل بمجموعها أساساً لتحالف غير متكافئ من حيث القوة، لكنه كان مقبولاً من الطرف العُماني في ظل التهديدات الإقليمية المتعددة .

ثالثاً : النتائج

من وجهة النظر البريطانية، شكّلت هذه المعاهدة اختراقاً استراتيجياً في الخليج العربي، إذ مكّنتها من [17] :

١. ضمان طريق آمن إلى الهند عبر موانئ سلطنة عمان.

2. التحكم غير المباشر بالسياسات البحرية في منطقة بحر العرب والخليج.

3. إغلاق الباب أمام أي وجود فرنسي رسمي أو عسكري في عمان.

أما من الجانب العُماني، فقد اعتُبرت المعاهدة ضماناً سياسياً مؤقتاً في مواجهة التهديدات الإقليمية، لكنها كانت أيضاً بداية لمرحلة من الاعتماد المتبادل غير المتوازن بين عُمان وبريطانيا، ظهرت معالمه لاحقاً في تدخل بريطانيا في شؤون الخلافة العُمانية، وتقسيم السلطنة بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان عام 1856 [18].

[17]- غانم، وئام. المعاهدة العُمانية - البريطانية عام 1798م، مجلة قلعة التاريخ، سلطنة عُمان، يونيو 2020 .
[18]- Dr. Jeremy Jones & Nicholas Ridout, A History of Modern Oman, Cambridge University Press, 2015.

2- المعاهدة البريطانية - العُمانية عام 1800

عُقِدت المعاهدة الرسمية في 18 يناير 1800، وأبرمها الكابتن جون مالكوم (ممثل شركة الهند الشرقية وحاكم بومباي آنذاك)، بالنيابة عن الحكومة البريطانية، ووقعها عن الجانب العُماني السيد سلطان بن أحمد. كانت هذه خطوة رسمية تعزز وتنظم العلاقة التي سبق وقد تأسست في عام 1798 [19].

أولاً : البنود القانونية والسياسية

من أهم البنود الواردة في نص المعاهدة [20]:

أ. الإقامة الدبلوماسية الدائمة

نصت المعاهدة على إنشاء "مقر" دائم لممثل بريطاني في ميناء مسقط، وهو ما يمثل تشديداً للعلاقة وتحويلها إلى تبادل دبلوماسي مستمر.

ب. وعد الصداقة الأبدية

تضمنت صيغة بلاغية تعهداً بصداقة دائمة وعلاقات تتواصل "إلى نهاية الزمان، وحتى تكمل الشمس والقمر دورتهما الأبدية." هذه العبارات الرمزية منحت الاتفاقية عمقاً قانونياً رمزياً لامس الثقافة الدبلوماسية حينها.

[19] -Robert Alston & Stuart Laing, A History of the British-Omani Relations 1650-1970, 2012, p 75.
[20] -Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years, .

ج. استبعاد القوى الأجنبية

دعم المعاهدة تصريحاً بمنع التدخل أو إقامة حضور فرنسي أو هولندي ضمن النفوذ العماني، وذلك لتعزيز النفوذ البريطاني.

د. حماية التجارة والملاحة

شملت المعاهدة ضمان سلامة السفن التجارية البريطانية في موانئ عُمان، وتسهيل مرورها وحمايتها من القرصنة، وقد سبب هذا تقدّماً في الحماية البحرية المشتركة، لا سيما ضد قواسم البحر.

هـ. تنظيم مكافحة القرصنة

حافظت بريطانيا على التعاون مع مسقط في جهودها للقضاء على القرصنة، وهي استراتيجية أساسية لحماية التجارة البحرية البريطانية.

ثانياً: الأبعاد الاستراتيجية والاقتصادية [21]

أ. تعزيز النفوذ البريطاني في الخليج

مكنت المعاهدة بريطانيا من ترسيخ حضور سياسي وحماية ملاحية على مسار طريق الهند-عُمان.

ب. رفع مستوى التنسيق المشترك لمكافحة القرصنة

تعاونا مستمراً بين البحرية البريطانية ومسقط لمكافحة قراصنة قواسم وأعداء آخرين، ما عزّز أمن البحار.

[21]- هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية – سلطنة عُمان ، العلاقات العُمانية البريطانية من القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) ، 2021. ص 454 .

ج. تمهيد لمفاوضات مستقبلية

شكّلت هذه المعاهدة الأساس لتوقيع معاهدات لاحقة، منها:

1- معاهدة التجارة والملاحة (1839)، التي ألزمت بريطانيا بحقوق تجارية أقوى.

2- معاهدات لاحقة لتعزيز النفوذ في أعقاب تقسيم السلطنة بعد وفاة سعيد بن سلطان (1856)، وصولاً إلى معاهدات مثل 1891 و1951 [22].

5. الأثر السياسي والتاريخي

أ. على المدى القصير

أنشأت المعاهدة مقراً بريطانياً فعلياً في مسقط، ما دعّم استقرار العلاقات بين الطرفين، وأكّدت حضور بريطانيا المؤسسي والعسكري في المنطقة.

ب. على المدى الطويل

رسّخت نمط "شبه الحماية البريطانية" على مسقط دون أن تفرض الاستعمار التام، وظهرت لاحقاً مظاهر تدخل في الشؤون السياسة الداخلية، لا سيما بعد تقسيم السلطنة عام 1856 [23].

3. بعثة إدوارد كومت ومعاهدة 1844م

أ. السياق التاريخي والدوافع الفرنسية

[22]- أ.د.جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق منذ فطرها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (1741-1970)،

[23]-Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years", First Forum, 2022.

مع بلوغ منتصف القرن التاسع عشر سعَت فرنسا إلى تعزيز وجودها الاقتصادي والدبلوماسي شرق إفريقيا والخليج العربي، بعد أن شهدت نزاعاتها في الجزائر ومصر فترات ضعف مؤقتة ضمن هذه الاستراتيجية، أُرسل إدوارد كومت (Edouard Comte) في عام 1844م كمبعوث رسمي إلى زنجبار، حيث كان السلطان سعيد بن سلطان قد نقل مركز حكمه، حيث جاءت المهمة الفرنسية تهدف إلى التأسيس لعلاقة دبلوماسية رسمية مبنية على مصالح تجارية مشتركة وتفكيك الحصار البريطاني على التنافس الأوروبي في المنطقة امتدت المفاوضات على عدة أشهر رافقتها حركة بحرية فرنسية بقيادة الأسطول المرافق للبعثة [24].

توجت المباحثات بتوقيع معاهدة صداقة وتجارة في 4 نوفمبر 1844م، سُميت بـ"معاهدة زنجبار – فرنسا". وقد تضمن نصها مجموعة مواد أساسية متعلقة بالتجارة والتمثيل الدبلوماسي، أبرزها [25]:

1. الامتيازات التجارية

- منح فرنسا صفة "الدولة الأكثر تفضيلاً"، ما أتاح لرعاياها التمتع بنفس التسهيلات التي تخضع لها القوى الكبرى الأخرى، خصوصاً في الرسوم الجمركية وحماية المصالح التجارية.
- تحديد الرسوم الجمركية بنسبة لا تتجاوز 5٪ على واردات وصادرات التجار الفرنسيين، بما يعزز تنافسية السلع الفرنسية في أسواق عمان وزنجبار.

2. التمثيل الدبلوماسي

اتفاق على تأسيس قنصلية فرنسية دائمة لكل من زنجبار ومسقط، لتصبح بؤرة رسمية للدبلوماسية الفرنسية في قلب النفوذ العماني.

3. حرية الملاحة

[24] -Nicolas Drocourt, La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880,p 85-110.

[25]- أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.

منح السفن الفرنسية حق المرور دون قيود عبر المياه الإقليمية العمانية، ما شكل تحدياً للاحتكار البحري البريطاني في المحيط الهندي.

4. حماية الحقوق القانونية

نصت المعاهدة على ضمان معاملة عادلة لرعايا فرنسا أمام المحاكم العُمانية، بالإضافة إلى امتياز "الحصانة القنصلية" لأفراد البعثة الفرنسية، الأمر الذي يعزز الطابع الرسمي والاقتراب مما يُعرف لاحقاً بـ"العقود الكابتولارية".

ب. الآثار وردود الفعل

على فرنسا: مثّلت المعاهدة نجاحاً دبلوماسياً مهماً واجهة لكسر الحصار البريطاني، ومنصة لإطلاق النفوذ الفرنسي في برّ ومسّطح مياه إمبراطورية الصومال وعُمان.

على عمان: أضحت المعاهدة اعترافاً بدور السلطنة الاستراتيجي، وأعطتها موضع قوة جديداً للتفاوض بين القوى الأوروبية، لكن السلطان سعيد بن سلطان تحسّب لتبعات هذا التقدم، ولم يدمحه بعيداً عن النفوذ البريطاني، فاحتفظ بتوازنه.

على بريطانيا: رأت المعاهدة خطراً محتملاً يظهر تمرداً على الهيمنة البريطانية، ما دفعها لتشديد الرقابة على الأنشطة الفرنسية لاحقاً ومحاولة إحباط تمددها، خصوصاً في موانئ شرق إفريقيا [26].

٤. المبعوثون الفرنسيون إلى "فرنجيار" (1840–1860)

تمثل الفترة بين عامي 1840 و1860 مرحلة دقيقة في العلاقات الفرنسية□العمانية، لاسيما في أعقاب توقيع معاهدة 1844، حيث بدأت فرنسا في تفعيل تمثيلها القنصلي في كل من مسقط وزنجبار – والتي عُرفت لدى بعض المراسلات الدبلوماسية الفرنسية باسم "فرنجيار"، في إشارة

[26]-Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.

محتملة إما إلى تحوير لفظي لموقع معين، أو إلى شبكة بحرية متصلة بالمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي (خاصة ريونيون وجزر القمر) [27].

كان الهدف المركزي من هذه البعثات هو تعزيز المصالح الفرنسية التجارية والدبلوماسية في شرق إفريقيا، في وقتٍ كانت فيه زنجبار قد تحوّلت إلى مركز الثقل السياسي والاقتصادي لعمان تحت حكم السيد سعيد بن سلطان. كانت فرنسا تدرك أهمية هذه المنطقة بوصفها بوابة إلى أسواق القرنفل والعاج والتوابل، فحرصت على إرسال مبعوثين سياسيين وتجاريين بشكل دوري، من أبرزهم .

الكابتن بروكان (Brocand) الذي لعب دوراً في مراقبة تنفيذ معاهدة 1844، ومحاولة إقامة روابط مباشرة مع أبناء السيد سعيد بعد وفاته عام 1856، وأيضاً ميشو (Michaud) ، دوراند (Durand) وهما قنصلان توليا مهام التمثيل الفرنسي في زنجبار خلال خمسينيات القرن التاسع عشر

ركز هؤلاء المبعوثون على النقاط التالية [28]:

١. تسهيل مرور البضائع الفرنسية إلى زنجبار عبر البحر الأحمر والهند الفرنسية.

2. التنسيق مع القنصل البريطاني لتفادي التصادم المباشر مع النفوذ البريطاني، الذي بلغ ذروته بعد تقسيم سلطنة عمان إلى شطرين (زنجبار وعمان الداخلية).

3. مراقبة التجارة البحرية في المحيط الهندي ومحاولة تقديم تقارير استخباراتية إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول التوازنات الإقليمية.

[27]- عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1856-1806 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
[28]- -ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163,

ورغم الطابع النشط لهذه البعثات، فإن النفوذ الفرنسي ظل محدوداً في مواجهة التفوق البريطاني، لعدة أسباب رئيسية:

1. الضعف العسكري الفرنسي البحري في المحيط الهندي مقارنة بالأسطول البريطاني القوي.

2. تردد السلطان ماجد بن سعيد – حاكم زنجبار بعد وفاة والده – في الانحياز صراحة لفرنسا، خوفاً من ردود فعل بريطانية قد تمس بتوازن سلطته.

3. الانقسام السياسي بين أبناء سعيد بن سلطان بعد وفاته عام 1856، ما أتاح لبريطانيا أن تتدخل كوسيط وتفرض "تحكيم اللورد كانينغ" (Canning Award) الذي أسفر عن التقسيم الرسمي للسلالة العمانية.[29]

ورغم ذلك، تمكن الفرنسيون من تحقيق بعض النجاحات الرمزية، منها:

١. تأسيس وكالة تجارية في زنجبار أشرفت على تصدير القرنفل إلى مرسيليا.

2. تنظيم زيارة الحاج درويش العماني إلى باريس في أواخر خمسينيات القرن، وهو ما يُعد من أوائل التبادلات الدبلوماسية المباشرة بين مسقط والحكومة الفرنسية.

3. رحلة السفينة الفرنسية "لا كارولين" (La Caroline) عام 1849، والتي جلبت شحنة رمزية من زنجبار إلى فرنسا، في محاولة لإنعاش التجارة الثنائية.

وبذلك، فإن البعثات الفرنسية إلى "فرنجيار" جسّدت المرحلة الثانية من التغلغل الفرنسي في المجال العماني□الإفريقي، لكنها بقيت رهينة حدود الهيمنة البريطانية ومقيدة بالموقع الجغرافي

[29]- Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

الاستراتيجي لصالح لندن، وهو ما جعل هذه البعثات تلعب دوراً مهماً في الحرب الدبلوماسية الباردة بين القوى الأوروبية، دون أن تُحدث اختراقاً حاسماً في الخارطة السياسية للمنطقة [30].

ثالثاً : البعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى عُمان (1800–1861م) – نتائجها وردود الفعل العُمانية

مع بدايات القرن التاسع عشر، شرعت فرنسا في تعزيز وجودها في منطقة الخليج العربي، مدفوعة برغبتها في كسر الهيمنة البريطانية التي ترسخت بعد إخفاق الحملة الفرنسية على مصر (1798–1801م)، وقد كان التوجه الفرنسي نحو سلطنة عُمان جزءاً من استراتيجية أوسع هدفت إلى توسيع النفوذ الفرنسي في المحيط الهندي، مستفيدة من مرونة السياسة العُمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان، الذي سعى إلى تحقيق توازن دبلوماسي بين القوى الأوروبية المتنافسة، لا سيما بريطانيا وفرنسا [31].

1. المبعوث كلود ماثيو دي عاردان (1807–1809م)

أ. السياق التاريخي والتوجهات الفرنسية

في عام 1807م، مع بداية التوسع الإمبراطوري الفرنسي في الشرق أُرسل كلود ماثيو دي عاردان المبعوث الفرنسي الرسمي إلى منطقة الخليج العربي بهدف فتح قنوات دبلوماسية وتجارية مع سلطنة عمان، وكانت هذه البعثة جزءاً من سياسة فرنسا الأكبر لكسر هيمنة القوى البحرية الأوروبية التقليدية وعلى رأسها بريطانيا في مناطق البحر الأحمر والخليج العربي، خلال هذه

[30]- د. سليمان بن حمود بن سليمان المعمري، العلاقات العُمانية الفرنسية (1715-1909م) ، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2019.
[31]- المعيلي، رجا بن عتيق، العلاقات الخارجية لسلطنة عُمان خلال الفترة 1861–1891م ، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، 1431هـ/2010م.

الفترة كانت فرنسا قد خسرت حملتها العسكرية في مصر عام 1801، لكن جهودها لتوسيع نفوذها في مناطق استراتيجية مثل عُمان كانت جزءاً من محاولاتها لتعويض خسائرها وتحقيق نفوذ أكبر في المنطقة [32].

ب. أهداف بعثة دي عاردان

بعثت الحكومة الفرنسية دي عاردان إلى مسقط في إطار جهودها لاستكشاف إمكانيات التعاون التجاري مع عمان التي كانت تعد مركزاً تجارياً حيوياً في الخليج العربي، كان الهدف الأساسي من البعثة هو تحفيز السلطنة على توقيع اتفاقية تجارية مع فرنسا، حيث كانت عمان في وقتها تشهد فترة من الانفتاح النسبي على القوى الأوروبية خاصة في ظل حكم السيد سعيد بن سلطان.

علاوة على ذلك، سعى دي عاردان إلى إرساء علاقات سياسية وثيقة مع سلطنة عمان، وذلك في سياق الحرب البحرية الأوروبية المستمرة ضد بريطانيا، حيث كانت فرنسا تأمل في أن تكون عمان نقطة انطلاق للتوسع التجاري في الشرق بما يخدم مصالحها الاقتصادية ويكسر الحصار البريطاني المفروض على تجارتها في المحيط الهندي [33].

ج. التحديات والصعوبات التي واجهت البعثة

ورغم الجهود الفرنسية كانت البعثة تواجه تحديات سياسية واقتصادية كبيرة، حيث كانت بريطانيا قد أبرمت عدة اتفاقيات مع عمان، وكان لها تأثير كبير على السياسات العمانية وكانت سلطنة عمان تسعى للحفاظ على استقلالها النسبي في مواجهة القوى الاستعمارية الأوروبية، وبالتالي كانت مترددة في توقيع أي اتفاقات قد تؤدي إلى تزايد التأثير الأوروبي في شؤونها [34].

[32] -Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

[33]- سليم طه التكريتي ، الصراع على الخليج العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٦، ص٦٠- 64.

[34]- أ. سعيد بن محمد بن عبد الله البلوشي، العلاقات العُمانية الأوروبية في القرن التاسع عشر (1800-1856م)، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2012، ص 145-180..

أحد أبرز التحديات التي واجهت بعثة دي عاردان كان ضغوط بريطانيا على عمان لمنعها من توسيع علاقاتها التجارية والدبلوماسية مع فرنسا، من جانب آخر، كانت عمان قد دخلت في سلسلة من المعاهدات مع بريطانيا، مما جعل السلطان سعيد بن سلطان حذراً من اتخاذ خطوات قد تثير ردود فعل بريطانية عدائية، وعلى الرغم من الحذر العماني فقد استقبلت البعثة بكثير من الحذر وسمحت للفرنسيين بعقد بعض اللقاءات مع كبار المسؤولين العمانيين. ومع ذلك، لم تُسفر المفاوضات عن أي اتفاق رسمي، حيث كان السلطان سعيد يميل إلى الحفاظ على حياده في مواجهة التنافس الأوروبي. كما كانت البعثة محاطة بعوامل خارجية كثيرة، مثل الضغوط العسكرية البريطانية المستمرة في البحر الأحمر والخليج العربي، حيث كانت بريطانيا تسعى لضمان تفوقها البحري في تلك المنطقة الاستراتيجية. وعليه، أظهرت سلطنة عمان حذراً في إظهار أي نوع من التفاهمات العميقة مع الفرنسيين [35].

هـ. نتائج البعثة

لم تحقق بعثة دي عاردان أهدافها الدبلوماسية والاقتصادية الرئيسية في توقيع اتفاقيات تجارية أو تعزيز النفوذ الفرنسي بشكل جاد في عمان، كانت البعثة تعتبر محكومة بفشل استراتيجي إلى حد ما، إذ لم تسفر عن أي تغييرات جوهرية في العلاقات العمانية الفرنسية ومع ذلك، كانت هذه البعثة بمثابة خطوة تمهيدية لتعزيز العلاقات الفرنسية مع سلطنة عمان في المستقبل، حيث فتح التواجد الفرنسي في الخليج من خلال هذه البعثة الباب لبعثات أخرى في السنوات التالية والتي حاولت فرنسا استغلال التنافس البريطاني الفرنسي لتحقيق مكاسب أكبر في المنطقة [36].

٢. المبعوثون التجاريون الفرنسيون إلى عُمان (1800–1810م)

أ. السياق العام والتوجهات الفرنسية

مع مطلع القرن التاسع عشر، ومع استمرار النزاعات الأوروبية (الحروب النابليونية)، سعَت فرنسا إلى إعادة تنشيط علاقاتها التجارية مع سلطنة عُمان واستعادة حضورها في المحيط الهندي،

[35]- محمد الدقن، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1909، 1999، جامعة الإسكندرية (كلية الآداب)، ص 125-140 .

[36]- رياض جاسم الأسدي ، التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على عمان 1888-1904م،

وقد كانت لهذه المساعي طابعٌ غير رسمي حيث أرسل التجار والوكلاء الفرنسيون دون دعم دبلوماسي مباشر في محاولة استكشاف فرص تجارية متجددة وإقامة روابط اقتصادية بعيداً عن النفوذ البريطاني المتزايد .

ب. طبيعة البعثات وأنشطتها

جاءت هذه البعثات كزيارات تجارية ودراسات سوقية، هدفها التحقق من الفرص التجارية لعُمان في تجارة القرنفل والعاج والتوابل والاستفادة من موقعها الاستراتيجي، وتكللت إحدى تلك المبادرات بسيطرة الفرنسيين على سلطات جمركية رمزية، كما حصلوا على امتيازات في المناولة المينائية خاصة عبر التمثيل التجاري لجزيرة ريونيون وجزر القمر مع عُمان ، ورغم أن البعثات كانت مؤقتة وغير ملحقة بمعاهدة إلا أنها فتحت نافذة لتوسيع التجارة الفرنسية مستقبلاً [37].

ج. التحديات التي واجهوها

واجه التجار والوكلاء الفرنسيون عدة صعوبات، أبرزها [38]:

1. هيمنة السلطات البريطانية على الموانئ العمانية، مما حد من القدرة الفرنسية على إبرام أي اتفاقيات رسمية أو دائمة.

2. ضعف التمثيل الرسمي لفرنسا آنذاك، فقد كانت منشغلة بالحروب الأوروبية مما أعاق الدعم المؤسساتي للبعثات التجارية .

3. المنافسة من تجار الهنود الذين سيطروا على الاقتصاد المحلي والتجارة البحرية واستحوذوا على نفوذ مها تجاري محلي وعالمي .

د. النتائج والآثار العاجلة

[37] -Stephane Pradines, From Zanzibar to Kilwa : Eighteenth and Nineteenth Century Omani Forts in East Africa, Aga .Khan University, 2019.

[38]- عبد الله بن صالح الفارسي، عُمان والتجارة البحرية في المحيط الهندي في القرن التاسع عشر، 2009، دار الفرقد للنشر والتوزيع ، ص 150-170.

لم تؤدِ هذه المبادرات غير الرسمية إلى توقيع اتفاقيات رسمية في هذه الفترة، لكنها ساهمت في:

1- وضع فرنسا في موضع ملاحظة من قِبل السُلطان سعيد بن سلطان لعودتها كقوة تجارية محتملة.

2- بناء سمعة فرنسية مع قطاع من التجار العمانيين، وخاصة أولئك المرتبطين بتجارة أفريقيا الشرقية.

3- تمهيد الطريق لعلاقات رسمية لاحقة بدأت تتبلور بعد فتح القنصلية الفرنسية عام 1844، والتي ظهرت بعد هذه المرحلة التجارية المبكرة [39].

3. بعثة إدوارد كومت ومعاهدة 1844م

أ. السياق التاريخي والدوافع الفرنسية

مع بلوغ منتصف القرن التاسع عشر سعَت فرنسا إلى تعزيز وجودها الاقتصادي والدبلوماسي شرق إفريقيا والخليج العربي، بعد أن شهدت نزاعاتها في الجزائر ومصر فترات ضعف مؤقتة ضمن هذه الاستراتيجية، أُرسل إدوارد كومت (Edouard Comte) في عام 1844م كمبعوث رسمي إلى زنجبار، حيث كان السلطان سعيد بن سلطان قد نقل مركز حكمه، حيث جاءت المهمة الفرنسية تهدف إلى التأسيس لعلاقة دبلوماسية رسمية مبنية على مصالح تجارية مشتركة وتفكيك الحصار البريطاني على التنافس الأوروبي في المنطقة امتدت المفاوضات على عدة أشهر رافقتها حركة بحرية فرنسية بقيادة الأسطول المرافق للبعثة. توجت المباحثات بتوقيع معاهدة صداقة وتجارة في 4 نوفمبر 1844م، سُميت بـ"معاهدة زنجبار – فرنسا". وقد تضمن نصها مجموعة مواد أساسية متعلقة بالتجارة والتمثيل الدبلوماسي، أبرزها [40]:

1. الامتيازات التجارية

[39]- عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1856-1806 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
[40]- أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.

- منح فرنسا صفة "الدولة الأكثر تفضيلاً"، ما أتاح لرعاياها التمتع بنفس التسهيلات التي تخضع لها القوى الكبرى الأخرى، خصوصاً في الرسوم الجمركية وحماية المصالح التجارية.
- تحديد الرسوم الجمركية بنسبة لا تتجاوز 5٪ على واردات وصادرات التجار الفرنسيين، بما يعزز تنافسية السلع الفرنسية في أسواق عمان وزنجبار.

2. التمثيل الدبلوماسي

اتفاق على تأسيس قنصلية فرنسية دائمة لكل من زنجبار ومسقط، لتصبح بؤرة رسمية للدبلوماسية الفرنسية في قلب النفوذ العماني.

3. حرية الملاحة

منح السفن الفرنسية حق المرور دون قيود عبر المياه الإقليمية العمانية، ما شكل تحدياً للاحتكار البحري البريطاني في المحيط الهندي.

4. حماية الحقوق القانونية

نصت المعاهدة على ضمان معاملة عادلة لرعايا فرنسا أمام المحاكم العُمانية، بالإضافة إلى امتياز "الحصانة القنصلية" لأفراد البعثة الفرنسية، الأمر الذي يعزز الطابع الرسمي والاقتراب مما يُعرف لاحقاً بـ"العقود الكابتولارية".

ب. الآثار وردود الفعل.

على فرنسا: مثّلت المعاهدة نجاحاً دبلوماسياً مهماً واجهة لكسر الحصار البريطاني، ومنصة لإطلاق النفوذ الفرنسي في برّ ومسّطح مياه إمبراطورية الصومال وعُمان.

على عمان: أضحت المعاهدة اعترافاً بدور السلطنة الاستراتيجي، وأعطتها موضع قوة جديداً للتفاوض بين القوى الأوروبية، لكن السلطان سعيد بن سلطان تحسّب لتبعات هذا التقدم، ولم يدمحه بعيداً عن النفوذ البريطاني، فاحتفظ بتوازنه.[41]

على بريطانيا: رأت المعاهدة خطراً محتملاً يظهر تمرداً على الهيمنة البريطانية، ما دفعها لتشديد الرقابة على الأنشطة الفرنسية لاحقاً ومحاولة إحباط تمددها، خصوصاً في موانئ شرق إفريقيا .

٤. المبعوثون الفرنسيون إلى "فرنجيار" (1840–1860)

تمثل الفترة بين عامي 1840 و1860 مرحلة دقيقة في العلاقات الفرنسية□العمانية، لاسيما في أعقاب توقيع معاهدة 1844، حيث بدأت فرنسا في تفعيل تمثيلها القنصلي في كل من مسقط وزنجبار – والتي عُرفت لدى بعض المراسلات الدبلوماسية الفرنسية باسم "فرنجيار"، في إشارة محتملة إما إلى تحوير لفظي لموقع معين، أو إلى شبكة بحرية متصلة بالمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي (خاصة ريونيون وجزر القمر).

كان الهدف المركزي من هذه البعثات هو تعزيز المصالح الفرنسية التجارية والدبلوماسية في شرق إفريقيا، في وقتٍ كانت فيه زنجبار قد تحوّلت إلى مركز الثقل السياسي والاقتصادي لعمان تحت حكم السيد سعيد بن سلطان. كانت فرنسا تدرك أهمية هذه المنطقة بوصفها بوابة إلى أسواق القرنفل والعاج والتوابل، فحرصت على إرسال مبعوثين سياسيين وتجاريين بشكل دوري، من أبرزهم [42]

.

الكابتن بروكان (Brocand) الذي لعب دوراً في مراقبة تنفيذ معاهدة 1844، ومحاولة إقامة روابط مباشرة مع أبناء السيد سعيد بعد وفاته عام 1856، وأيضاً ميشو (Michaud) ، دوراند

[41]-Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.
[42] -Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

(Durand) وهما قنصلان توليا مهام التمثيل الفرنسي في زنجبار خلال خمسينيات القرن التاسع عشر.

ركز هؤلاء المبعوثون على النقاط التالية [43]:

١. تسهيل مرور البضائع الفرنسية إلى زنجبار عبر البحر الأحمر والهند الفرنسية.

2. التنسيق مع القنصل البريطاني لتفادي التصادم المباشر مع النفوذ البريطاني، الذي بلغ ذروته بعد تقسيم سلطنة عمان إلى شطرين (زنجبار وعمان الداخلية).

3. مراقبة التجارة البحرية في المحيط الهندي ومحاولة تقديم تقارير استخباراتية إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول التوازنات الإقليمية.

ورغم الطابع النشط لهذه البعثات، فإن النفوذ الفرنسي ظل محدوداً في مواجهة التفوق البريطاني، لعدة أسباب رئيسية:

1. الضعف العسكري الفرنسي البحري في المحيط الهندي مقارنة بالأسطول البريطاني القوي.

2. تردد السلطان ماجد بن سعيد – حاكم زنجبار بعد وفاة والده – في الانحياز صراحة لفرنسا، خوفاً من ردود فعل بريطانية قد تمس بتوازن سلطته.

[43]- -ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163.

3. الانقسام السياسي بين أبناء سعيد بن سلطان بعد وفاته عام 1856، ما أتاح لبريطانيا أن تتدخل كوسيط وتفرض "تحكيم اللورد كانينغ" (Canning Award) الذي أسفر عن التقسيم الرسمي للسلالة العمانية [44].

ورغم ذلك، تمكن الفرنسيون من تحقيق بعض النجاحات الرمزية، منها [45]:

١. تأسيس وكالة تجارية في زنجبار أشرفت على تصدير القرنفل إلى مرسيليا.

2. تنظيم زيارة الحاج درويش العماني إلى باريس في أواخر خمسينيات القرن، وهو ما يُعد من أوائل التبادلات الدبلوماسية المباشرة بين مسقط والحكومة الفرنسية.

3. رحلة السفينة الفرنسية "لا كارولين" (La Caroline) عام 1849، والتي جلبت شحنة رمزية من زنجبار إلى فرنسا، في محاولة لإنعاش التجارة الثنائية.

وبذلك، فإن البعثات الفرنسية إلى "فرنجيار" جسّدت المرحلة الثانية من التغلغل الفرنسي في المجال العماني□الإفريقي، لكنها بقيت رهينة حدود الهيمنة البريطانية ومقيدة بالموقع الجغرافي الاستراتيجي لصالح لندن، وهو ما جعل هذه البعثات تلعب دوراً مهماً في الحرب الدبلوماسية الباردة بين القوى الأوروبية، دون أن تُحدث اختراقاً حاسماً في الخارطة السياسية للمنطقة.

الخاتمة

يُعالج هذا البحث موضوع الدبلوماسية البريطانية – الفرنسية في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، من خلال تتبع طبيعة البعثات الدبلوماسية والتجارية، وما رافقها من معاهدات واتفاقيات شكّلت ملامح المرحلة، وقد أظهر المسار العام للدراسة أن الحضور

[44]- سلطان بن محمد القاسمي ، العلاقة العُمانية–الفرنسية 1715–1905، منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، 1996 ، ص ٥٢

[45]- Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

البريطاني اتسم بالثبات والتأثير المباشر، إذ اعتمد على تتابع البعثات وتوقيع سلسلة من المعاهدات التي عززت نفوذ بريطانيا ورسخت موقعها الاستراتيجي في عمان والخليج العربي. في المقابل، جاء النشاط الفرنسي أقل انتظاماً وأكثر محدودية، حيث غلبت عليه المحاولات التجارية التي لم ترتقِ إلى مستوى النفوذ السياسي المستدام.

أما السياسة العُمانية، فقد تجلت فيها محاولات واضحة للموازنة بين الطرفين الأوروبيين، إذ سعت إلى الحفاظ على استقلال قرارها ومصالحها الاقتصادية، غير أن الضغوط البريطانية القوية والمستمرة جعلت قدرة عمان على المناورة محدودة مع منتصف القرن، لاسيما بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان وما تبعه من انقسام سياسي.

وبذلك فإن البحث يوضح أن عمان كانت مسرحاً لتنافس استعماري محتدم ترك بصماته العميقة على أوضاعها الداخلية والخارجية، وأسهم في إعادة تشكيل موقعها في المعادلة الإقليمية والدولية، وهو ما يمنح هذه المرحلة أهمية خاصة لفهم تطور العلاقات الدولية في الخليج العربي.

المراجع

باللغة العربية :

1. لوريمر ،(ج): دليل الخليج القسم التاريخي ،قسم الترجمة بمكتب صاحب السموأمير دولة قطر ،الدوحة،د.ط،د.ت،ج1،ص270.
2. محمد العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1998، ص 147..
3. علي ناجح محمد، التنافس البريطاني الفرنسي في عُمان 1806 -1829. مجلة كلية المعارف الجامعة، ٢٠١٩، جامعة الموصل ، ص ١٩.

4. موقع الكتروني تم وضعه من قبل الباحثة : https://www.pdavis.nl/Frere.htm?utm ، تاريخ الوصول 2025/7/4.
5. سمير محمد علي، العلاقات العُمانية البريطانية (1798–1856). مجلة العلوم الاجتماعية، مجلّد 14، عدد 3 ، 307–310.
6. غانم، وئام. المعاهدة العُمانية - البريطانية عام 1798م، مجلة قلعة التاريخ، سلطنة عُمان، يونيو 2020 (العدد 10–11
7. هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية – سلطنة عُمان ، العلاقات العُمانية البريطانية من القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) ، 2021. ص 454 .
8. أ.د.جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق منذ فطرها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (1741-1970)،
9. أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.
10. عبدالله التركي، العلاقات العمانية الفرنسية في عهد سعيد بن سلطان 1806-1856 م/1221-1273 هـ العلاقات العمانية الفرنسية في عهد السلطان سعيد بن سلطان 1221-1273 هـ / 1806-1856 م، يناير 2006.
11. المعيلي، رجا بن عتيق، العلاقات الخارجية لسلطنة عُمان خلال الفترة 1861–1891م ، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، 1431هـ/2010م.
12. سليم طه التكريتي ، الصراع على الخليج العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٦، ص٦٠- 64.
13. محمد الدقن، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1909، 1999، جامعة الإسكندرية (كلية الآداب)، ص 125-140 .
14. رياض جاسم الأسدي ، التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على عمان 1888-1904م،

15. عبد الله بن صالح الفارسي، عُمان والتجارة البحرية في المحيط الهندي في القرن التاسع عشر، 2009، دار الفرقد للنشر والتوزيع ، ص 150-170.
16. أحمد حمود المعمري ، عمان وشرقي إفريقيا، وزارة التراث والثقافة ص 166.
17. سلطان بن محمد القاسمي ، العلاقة العُمانية–الفرنسية 1715–1905، منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية ، 1996 ، ص ٥٢

المراجع باللغة الإنجليزية

1. Al-Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920. PhD thesis, University of Glasgow.

2. Sir John Malcolm , The History of Persia, from the Most Early Period to the Present Time , London: John Murray, 1815, p 462-464.

3. Hilal Hajari, Oman through British Eyes: British Travel Writing on Oman from 1800 to 1970, University of Warwick, 2003.
4. David Seton ,The Journals of David Seton in the Gulf, 1800–1809, University of Exeter Press, 1995, 1-25.
5. George Percy Badger , History of the Imāms and Seyyids of ’Omān، London: Printed for the Hakluyt Society، 1871, p254.

6. James Onley (2004)، Britain’s Native Agents in Arabia and Persia in the Nineteenth Century", Comparative Studies of South Asia Africa and the Middle East.

7. Mousawi, Hussain Ben-Al-Seyed-Yousuf Hashim (1990) A history of Omani-British relations, with special reference to the period 1888-1920.PhD thesis.

8. Fatima Al-Hatimiyah & Muhammad Al-Tarawneh (2022), the journey of Captain Hammerton from Muscat to Zanzibar in the year 1257 AH / 1841 AD – Study and investigation. Journal of Misan Researches, 18(35), 160–197.

9. Al-Mukadam, Mohammed, "A Survey of Diplomatic and Commercial Relations Between the United States and Oman in Zanzibar, 1828-1856" (1990).

10. Treaty of Friendship,Commerce and Navigation between His Majesty in respect of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Sultan of Muscat and OmanMuscat, 20th December, 1951.

11. Stuart Laing, Oman and Britain: 220 years", First Forum, 2022.

12. Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.

13. ROBERT GERAN LANDEN , OMAN SINCE 1856 ,PRINCETON UNIVERSITY ,1967,p163,

14. Edward A. Alpers , French Imperialism in the Indian Ocean: The Struggle for "Influence" in Zanzibar (1840–1860),The International Journal of African Historical Studies , (1975)

15. Nicolas Drocourt , La France et le sultanat de Mascate et Oman au XIXe siècle: Les relations diplomatiques et consulaires de 1840 à 1880

16. Stephane Pradines, From Zanzibar to Kilwa : Eighteenth and Nineteenth Century Omani Forts in East Africa, Aga .Khan University, 2019.

17. Florence Hellot-Bellier, Diplomatic Networks: France in , Persia,1830□1870, 2018, p. 131-136.

إيقاع القافية في الشعر المسرحي (قلائد الوفاء والفداء للدكتور غازي طليمات أنموذجاً)

الباحثة: عدن طيارة

ملخص البحث:

يقوم الشعر على قوالب يجب على الشاعر الالتزام بها ولا سيما في الشعر التقليدي، والقافية واحدة من تلك القواعد النّظمية التي تؤثر في الإيقاع ، ويزداد أثرها الإيقاعي قوةً وعمقاً عندما تأتي القافية متجانسة مع قوافٍ أخرى ، ويتأتّى ذلك ؛ لأنّ القافية تشكل نقطة الارتكاز الإيقاعي.

قد تتعدد القوافي وتتجدد ، كما في الشعر الحر والموشحات ،وينتج عن ذلك إيقاعات متلونة ، تتنوع بين البطيئة والسريعة ، والسمة المشتركة بين الإيقاع والقافية هي التكرار ، ولذلك تصحّ دراسة الإيقاع في القافية ، وينبغي عدم فصل القافية عن السياق الذي قيلت فيه ؛لأنّ النص الشعري مشتملٌ عليهما معاً ، كما ينبغي دراسة نماذج متعددة للوصول إلى ظاهرة إيقاعية يمكن دراستها ، ومن هذه الظواهر : تكرار النوع المتواتر للقافية ، ومجانسة القافية لغيرها من القوافي أو كلمات الحشو ، وقد تأتي القوافي المتجانسة في المسرحية على لسان متحاور واحد أو أكثر.

الكلمات المفتاحية: القافية، وظائفها . الشعر المسرحي . قلائد الوفاء والفداء.

Tone of rhyme in dramatic verse (necklaces of loyalty and scarification as a model)

Summary: Rhymes may vary and evolve , as seen in free verse and muwashshahat ,resulting in diverse rhythms that range from fast to slow . The common feature between rhythm and rhyme is repetition ,which justifies the study of rhythm through rhyme . Rhyme should not be separated from the context in which it was spoken ,as the poetic text encompasses both . various examples can be examined to identify rhythmic phenomena that are worth studying .Among these phenomena are : the repetition of a consistent type of rhyme ,the harmony of a rhyme with other rhymes or filler words .Harmonized rhymes may appear in a play in the dialogue of one or more speakers.

مقدّمة:

تتنوّع الفنون الأدبية ، ويختار الكاتب الفنّ الذي يعبّر عن أغراضه ويستطيع أن يحمّله ما أراد من فكر وصورٍ ومعانٍ وظواهر ، ويمتاز البحث بدراسة فن الشعر المسرحي الموصوف بجدّته عند العرب مقارنة مع غيره من الفنون ، يجمع هذا الفن بين أمرين : الشعر من جهة، والمسرح من جهة أخرى، والشّاعر المجيد في هذا المجال يستطيع أن يوفّق بين نظام الأوزان والقافية ، وبين ظواهر الحوار والمشاهد المسرحية ، ومن ناحية أخرى؛ يستند هذا البحث إلى دراسة القافية التي تشكّل نقطة الارتكاز الإيقاعي لوقوعها في نهاية الأبيات الشّعرية المنظومة على الأوزان التّقليدية ، وفي نهاية السطر الشّعري في الشعر المنظوم على نظام التّفعيلة ، وهنا يكمن جزء من أهمية الشعر المسرحي الذي يجمع بين طرفين : الشعر التقليدي وشعر التّفعيلة ، ولهذا السّبب كان اختيار هذا الشاعر (د.غازي طليمات) ؛لأنه نظم مسرحياته على البحور تارةً ، وعلى تكرار التفعيلة الواحدة تارةً أخر ، ثمّ حدّد البحث كتاب قلائد الوفاء والفداء عنواناً للدّراسة لتنوّع الظواهر الإيقاعية فيه ، ولكثرتها ، وللجرس الموسيقي الذي أحدثته القافية فيه.

إنّ من خصائص الشعر المسرحي تنوّع ما فيه من بحورٍ، وقوافٍ وحروف رويّ، فكان نموذجاً مناسباً للدراسة، لاسيّما أنه بحث جديد، إذ اقتصرت الدراسات السابقة . حسب اطلاعي . على دراسة الإيقاع في الشعر التقليدي أو شعر التفعيلة، أو كانت مقالاتٍ موجزة تبحث في إيقاع الشعر المسرحي.

. ومن خصائصه أيضاً أنّه يصوّر أفراداً ، لا فرداً واحداً ، يصوره فردا مرتبطاً بجماعة ، ذواتٍ متّصلة ، والمسرحية تُكتب لتُمثلَ ، لا لتُقرأَ ، ويعتمد عنصر التأثير في المتلقي[1].

بدأ المسرح عند اليونان ثم الإنكليز ، فكان عند اليونان مستنداً إلى الشعر والحوار وذلك قبل القرن السادس عشر ، وبعد ذلك غلب عليه النّثر ، أمّا في الأدب الإنكليزي فكان بعض النقاد والمؤلفين يكتبون مسرحياتهم بالشعر ؛ لأنهم وجدوا أن المسرح والشّعر يؤثران في نفوس السّامعين والمشاهدين أكثر من تأثير الكلام العادي ؛لوجود الوظيفة الجمالية في كلٍّ من هذين الفنّين ، وعند

[1] العشماوي، محمد زكي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط.1، 1994م.، ص 41 - 42 - 43.

العرب بدأ الشعر المسرحي بالظهور في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فكان من أهم رواده أحمد شوقي ، وصلاح عبد الصّبور[2].

. كتاب قلائد الوفاء والفداء مؤلَّف من خمس مسرحيات تاريخية، الأولى تتحدث عن عمر المختار وبطولاته، وفيها أربعة فصول، والمسرحية الثانية تتحدث عن لويس التاسع ووقوعه في الأسر في يد الظاهر بيبرس، وهي من أربعة فصول أيضاً، والمسرحية الثالثة تتحدث عن نابليون وإعدام سليمان الحلبي، وفيها خمسة فصول، والمسرحية الرّابعة تتحدث عن السّلطان عبد الحميد، وهي من أربعة فصول، أما المسرحية الخامسة (الأخيرة) فتتحدث عن إبراهيم هنانو، وهي مسرحية من فصلين فقط.

صعوبة البحث : الشعر المسرحي يختلف عن الشعر التقليدي وعن الشعر الحر (شعر التفعيلة) ، ويتفرّد بسمات إيقاعية خاصّة ناتجة عن الحوار ، ولذلك صَعُبَ تحليله ودراسته ؛ بسبب قلة المراجع التي تحدثت عن خصائصه ، أمّا الإيقاع فهو مصطلح غامض ، من الصّعب تحديده بدقّة ، وهذا ما شكّل صعوبة أخرى أيضاً .

فرضية البحث : من الممكن أن يبيّن البحث أثر القافية الإيقاعي في نماذج من الشعر المسرحي ، وأن يظهر تميّز هذا الشعر من غيره ، وأن يوضّح جماليات القافية المجانسة لغيرها ، وأن يدلّ طالب العلم على قضايا إيقاعيّة يمكنُ دراستُها والبحثُ فيها .

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1. دراسة الظواهر الإيقاعية في القافية في مسرحيّات قلائد الوفاء والفداء.
2. بيان ما تتميّز به القافية في الشعر المسرحي من القافية في الشعر العمودي ذي الشّطرين.
3. الكشف عن وظيفة القافية الإيقاعيّة بوصفها محوراً يمثّل نقطة الارتكاز الإيقاعي في نهاية السّطور والجمل الشّعرية.

مشكلة البحث: تتمثّل مشكلة البحث في دراسة ظلال إيقاع القافية وتأثيرها في باقي عناصر الموسيقا ووظيفتها في ضبط الوزن في عدّة أسطر شعريّة متتالية، ويبيّن تنوّع القافية وتعدّدها في نهاية كلّ جملة شعريّة، ممّا يكسر رتابة الإيقاع في القافية، والقضيّة التي يدرسها البحث هي

[2] المرجع نفسه، ص 217 وما بعدها.

إمكانيّة تناغم القافية وانسجامها مع عناصر الوزن الأخرى، وتشكيلها معاً صورة موسيقيّة متكاملة متناسبة في الشعر المسرحي المختار.

منهج البحث: هذا البحث يدرس الظّواهر الإيقاعيّة في تحليل نموذج من الشّعر المسرحي، ولذلك كان المنهج المختار هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعرَّف بأنّه " أسلوب من أساليب التّحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد عبر فترة أو فترات زمنيّة معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج عمليّة تمّ تفسيرُها بطريقة موضوعيّة تنسجمُ مع المعطيات العقلية للظاهرة "[3] ذلك أنّ البحث استند إلى تحليل بعض الأمثلة من مسرحيّات قلائد الوفاء والفداء للوصول إلى نتائج.

الدراسات السابقة:

سُبِقَ البحث بدراسات متعددة عن القافية ، وعن الإيقاع ، ومن هذه الدراسات:

. كتاب " الإيقاع في الشعر العربي " لعبد الرحمن آلوجي .

. مقال بعنوان "الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة" للدكتورة هدى صحناوي.

. مقال بعنوان "من أسرار الإيقاع في الشعر العربي" لتامر سلوم.

. مقال بعنوان " جماليات الإيقاع وأبعاده الدّلالية في الشعر العربي" لسعيد عكاشة .

أمّا هذا البحث فقد وفّقَ بين الإيقاع والقافية والشعر المسرحي ، وهذا هو الجديد فيه ؛لأنّه اختصّ بدراسة القافية في الشعر المسرحي لا في غيره ، ومن الجديد دراسة القافية في نماذج محدّدة من نتاج الشاعر غازي طليمات الذي لم تُدرسْ قوافيه دراسة إيقاعيّة.

تمهيد:

د. غازي طليمات:

ولد في حمص، عام 1935، حصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها، ودبلوم التربية، ودبلوم الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق.

تعليمه: درس الابتدائية في مدرسة الخالدية الخاصة، فكان من معاصريه: عبد العزيز الأتاسي والصيدلاني سعد الله السباعي، ودرس الإعدادية في المدرسة الشرعية، وحينها تفتقت مقدرته على

[3] المنهج الوصفي التحليلي في مجال البحث العلمي ، عبد الصمد العسولي ، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية ، الرباط ، ع: 29 ، 2020م ،

نظم الشعر العمودي لكنه لم يدونه، ودرس الثانوية في مدرسة عبد الحميد الزهراوي، وكان من أساتذته: رفيق الفاخوري، والمؤرخ محمود السباعي.

من مؤلفاته العلمية: موسيقا الشعر، عروض الشعر العربي من المعلقات إلى شعر التفعيلة، دروس في النحو، الشعر في عصر النبوة والخلافة الرّاشدة، وله في الشعر المسرحي عدة كتب منها: سلطان العلماء العز بن عبد السلام، أبو الصعاليك، قلائد الوفاء والفداء.

توفي عام 2021 م.

الشعر المسرحي :

يتميّز الشعر من باقي الأجناس الأدبيّة بالوزن ، فالشعر " كلام مقفّىً موزون على سبيل القصد "[4] وقد تتنوّع أوزانه بين بحر وآخر ، أو تفعيلة وأخرى .

أمّا المسرحية فهي " جنسٌ أدبيّ عريق عند الإغريق حديث عند العرب وهو قصة تمثيلية أساسها الحوار وليس السّرد ولا الوصف ، والحوار يمكن أن ينطقه شخص واحد أو يتبادله مجموعة أشخاص. وذو حبكة هي عقدة العمل الفنّي يلقيه الممثّلون أمام الجمهور"[5] ويعرّفها آخر بأنّها " إنشاء أدبي في شكل درامي مقصود به أن يعرض على خشبة المسرح بواسطة ممثلين يؤدون أدوار الشخصيات ويدور بينهم حوار" [6] فالحوار أساس المسرحية ، الذي لا يمكن أن تسمّى مسرحية إذا خلت منه ، ولذلك كانت نماذج القافية المدروسة متنوعةً ؛ منها ما كان على لسان متحاور واحد ، ومنها ما كان على لسان أكثر من متحاور.

والشعر المسرحيّ يجمع بين طرفين : الشعر والدّراما ، والرّابط بينهما أنّ " العوامل التي تجعل الشعر شعراً رائعاً هي نفس العوامل التي تجعله دراميّاً عميقاً... وهكذا لا تجد من يشير إلى أنّ بعض المسرحيّات أكثر شاعريةً من سواها ، وإلى أنّ البعض الآخر أعمق من الناحية الدّرامية فالمسرحية بالغة العمق والشّاعريّة في الوقت ذاته . وليس هذا ثمرة لالتقاء لونين من ألوان النشاط الفني الخلّاق ، بل ثمرة لنفس النّشاط الذي ينتج الشّعر والدّراما في الوقت ذاته"[7] أي إنّ النشاط الذي يتكوّن في ذهن الشّاعر المسرحي في لحظة الإنتاج ، هو نشاط يشكّل الشعر والدراما معاً ،

[4] معجم التعريفات ، علي الجرجاني ، تح محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ص 109.
[5] المعجم المفصّل في الأدب ، محمد التونجي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط.2، 1999م ، ص 786
[6] معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، التعاضدية العماليّة للطباعة والنشر ، تونس ، ص 323.
[7] دراسات في المسرح والشّعر ، محمد عناني ، د.ن ، د.ط ، د.ت ، ص 27

الدراما التي تستند إلى حوار الشخصيّات الذي هو أساس المسرحيّة ،ويتميّز الشعر المسرحيّ من المسرح الشّعري بأنّ الأول شعر أوّلاً ومسرحٌ ثانياً[8] أي هو جنس أدبي توفّرت فيه عناصر الشّعر من وزن وقافية ، وهو مع ذلك يستند إلى بعض عناصر المسرح كالحوار ، ممّا سبق يتّضح أنّ الشعر المسرحي هو نصّ أدبيّ تمتزجُ فيه عناصر الشعر بعناصر المسرح ، يختلف عن الشعر التقليدي بأنّه قائمٌ على إيقاع الجملة الشّعرية لا البيت[9] وهذا ما يجعلُ الشعر المسرحيّ متلوّن الإيقاعات بسبب تنوّع القافية.

الإيقاع: تتشكّل الموسيقا في الشّعر من الوزن والإيقاع ويمتاز الوزن بأنّه ذو قواعد محدّدة لا يخرج عنها وهو يشكّل الإطار الخارجي للموسيقا أمّا الإيقاع فيدرس التّفاعلات الدّاخلية والعلاقات بين الأصوات، ولا يلتزم بنظام معيّن للألفاظ بل يمكن لكلّ شاعر أن يختار إيقاعاً خاصّاً يستطيع أن يعبّر عمّا بداخله.

الإيقاع لغة واصطلاحاً:

لغة: وقع الشيء وقوعاً فهو واقع والواقعة القيامة ؛لأنّها تقع بالخلق فتغشاهم والوقعة صدمة الحرب ، ومنه التّوقيع: ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه[10].والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان وبينها [11].

اصطلاحاً: "هو ما يحدثه الوزن أو اللحن من انسجام"[12] ، تتفق الأقوال السّابقة في ارتباط الإيقاع باللحن ، ومنهم من ربط الإيقاع بالوزن والزّمن ، وعرّف الشّعر بأنّه أقوال موزونة وأنّ " معنى كونها موزونة هو أن يكون لها عدد إيقاعي ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كلّ قول منها وبالجملة كل جزء مؤلّفاً من أقوال إيقاعية يكون عدد زمان أحدها مساوياً لعدد زمان الآخر"[13] والقول السابق يشير إلى انتظام الإيقاع ، فزمن الأقوال الإيقاعية ينبغي أن يكون واحداً، لكن هذا

---

[8] المسرحية في الأدب العربي الحديث ، خليل الموسى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، د.ت، ص 42

[9] الإيقاع في الشعر المسرحي بين التقليد والتجديد ، محروس بريّك ، مجلة أنساق ، قطر ، مج 4 ، ع 1_2، 2020م ، ص 163.

[10] مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الفكر، ج 6، مادة [وقع].

[11] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت. وينظر:
ـ المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط.4، 2004م، [مادة وقع].

[12] معجم النقد العربي القديم، د.أحمد مطلوب ،دار الشّؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط.1 ، 1989م ، ص 257

[13] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو مختار محمد القاسم السّجلماسي، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرّباط، 1980م، ص 407.

الإيقاع المنتظم قد يغيّر من استراتيجيته محدثاً تزحزحاً في الخطاطة الصّوتية والدّلالية للنص وهو ما يستوجب تغيير زاوية ... وعادة ما يحمل الوزن وزن ما يلحق الشّعر عند هذه المنعطفات من انحباس في حين أنّ الوزن لازم للنص الشّعري وضامن لتشكيله الصّوتي الدّلالي" [14]، ويرتبط الإيقاع بالقافية ارتباطاً حتميّا ؛فكلاهما قائم على التّكرار ، والإيقاع في الشّعر "ذو طبيعة متكررة على مستوى القصيدة الواحدة في الوزن العروضي الذي يجب على الشّاعر الالتزام به في سائر القصيدة وفي القافية الموحّدة كذلك وليس الإيقاع شيئاً محدّداً يمكن أن نمسكَ به "[15]، نستطيع أن نلحظ في القول السّابق غموض الإيقاع وعلاقته بالتّكرار ، ويؤكّد التّكرارَ قولٌ آخر يعرّف الإيقاع بوصفه " السير وفق نظام تتفق فيه الأصوات إمّا بالتّعاقب أو التّكرار أو التوازي مع بعضها البعض مثل ما يحدث في عروض الخليل بن أحمد من تكرار التفعيلات وتعاقبها داخل البيت وتكرارها في القصيدة "[16] ويُقصَدُ بهذه المنعطفات التّغيرات التي يحملها الإيقاع ويتميز بها من الوزن الذي يتبع لقوانين ونظام محدد ؛لأنّ " الشعر صناعة ذات قواعد إيقاعية دقيقة ، لا تؤخذ هوناً بل يقف عندها الشاعر طويلاً يهذّب ويدقق ويحذف حتى تستقيم القصيدة وتتوازن إيقاعاتها ويحكم نسيجها وتحسن في الأسماع"[17] ، وهنا إشارة إلى أنّ الإيقاع لا يتأتّى للشّاعر بسهولة بل لابدّ من إعمال الفكر وإعادة التّأمّل مرة تلو مرّة ليحظى بإيقاع مستساغ يحاكي ما يريده الشّاعر ، ويطرب أذن السّامع.

القافية لغة: قفاهُ قفواً وقُفُوًّاً واقتفاه وتقفّاه: تبعه. والقافية من الشّعر :الذي يقفو البيت وسميت قافية ؛لأنّها تقفو البيت [18].

والقافية مؤخّر العنق وآخر كل شيء وفي الشّعر الحروف التي تبدأ بمتحرّك يليه آخر ساكنين في البيت [19].

---

[14] إيقاع المعنى معنى الإيقاع، محمد الصالحي، مجلة علامات، المغرب، العدد 43، ص 24

[15] التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، د. سيد خضر، دار الهدى، بيلا، كفر الشيخ، ط.1، 1998ص 48.

[16] إيقاع الشعر العربي في الشعر البيتي الشعر الحر قصيدة النثر، د. نعمان متولي، دار العلم والإيمان، دسوق، 2013م، ص 132.

[17] الإيقاع في الشعر العربي، عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد، دمشق، ط.1، 1989م، ص 51.

[18] ينظر:

ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج15، مادة [قفو].

ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.8، 2005م، مادة [قفو]

[19] ينظر:

القافية اصطلاحاً: ذُكِر في كتب القوافي تعريفان للقافية، فاختلف معناها بين الخليل والأخفش فقال الأخفش: " اعلم أنّ القافية آخر كلمة في البيت وإنّما قيل لها قافية لأنّها تقفو الكلام. وفي قولهم قافية دليل على أنّها ليست بالحرف ؛لأنّ القافية مؤنثة والحرف مذكّر"[20] وهو في قوله هذا يميّز القافية من الرّوي ؛لأنّ الروي حرف وينفي أن تكون القافية هي الرّويّ نفسه .

أمّا الخليل فينسب له هذا التّعريف: "القافية عند الخليل هي آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ومع المتحرّك الذي قبل السّاكن الأوّل منهما"[21] وقد نظم إسماعيل الإسلامبولي تعريف القافية شعراً فقال فيها :

السّاكنان مع ما قبلهما قافيةٌ من آخر البيت هما[22].

وإذا كان معنى القافية في المعاجم يشير إلى الاتباع والسّير على نظام موجود سابقا فإنّ معنى القافية اصطلاحاً قد يشير إلى معنى أكثر خصوصية فالقافية " من الأسماء المنقولة من العموم إلى الخصوص فإذا أريد بها الشّعر لم يقع عليها هذا الاسم حتى تقارن كلاماً موزوناً وإذا أريد بها الاشتقاق اتّسعت فيها العبارة"[23]يشير الباحث إلى أنّ القافية في الشّعر تكتسب معنى خاصّاً إضافة إلى ما يفيده معناها في المعجم ، ويشترط لهذا التّعريف . الخاصّ بالشّعر . أن يكون كلاماً موزوناً ليصلح له أن يكون ذا تقفية.، ويجدر أن نشير إلى أنّ معنى القافية المقصود في البحث هو التّعريف المعروف عند الخليل.

ومهما تشعّبت الآراء في تعريف القافية ، نلحظ أنّها تقوم على تكرار الأصوات فهي " المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كلّ بيت فأوّل بيتٍ في قصيدة الشّعر الملتزم يتحكّم في بقيّة القصيدة من حيث الوزن العروضيّ ومن حيث نوعُ القافية" [24]إذن القافية تمثّل الرّكيزة التي يستند إليها

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد المجيد قطامش، التراث العربي، الكويت، ط.1، 2001م، ج39، مادة [قفو].
ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشّروق، مصر ط.4، 2004م، مادة [قفو].

[20] القوافي، أبو الحسن الأخفش، تحقيق أحمد راتب النّفاخ، دار القلم، بيروت، ط.1، 1974 م، ص3.

[21] القافية تاج الإيقاع الشعري، د. أحمد كشك، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1983م، ص 7، وينظر:
ـ الموسيقا الشعرية، د.صلاح عبد الحافظ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، ط.2، 1995م، 61/1.

[22] شرح الخلاصة الوافية في علمي العروض والقافية، إسماعيل الإسلامبولي، المطبعة العربية، مصر، 1928م، ص 43.

[23] القوافي، أبو يعلى التّنوخي، ص 63.

[24] دراسات في العروض والقافية، د. عبد الله درويش، مكتبة الطالب الجامعي، مكّة المكرّمة، ط. 3، 1987م، ص 93.

الإيقاع في القصيدة كلّها ، كما "تمثّل قمّة النّغم في البيت ولذا اهتمّ بها الشّعراء و أعطوها حقّها في العناية واختيار الحروف الملائمة "[25]التي تتكرّر في نهاية كلّ بيت شعري ؛لأنّ التّكرار لا يظهر" إلا باطمئنان الوقف على آخر كلّ بيت"[26] إنّ هذا التّكرار متوقّع والحروف المكرّرة في القافية متوقّعة " وإذا كان الإيقاع هو التّكرار الدّوري لعناصر مختلفة في مواضع متطابقة فإنّ كلمات القافية تشكّل جانباً مهمّاً من إيقاع القصيدة وبذلك تؤدّي دورا دلاليّاً له أهميّته في كيان النّصّ"[27] هذا الدّور الدّلالي مرتبطٌ بالدّور الإيقاعي التي تؤدّيه القافية ، ولا يمكن أن يتحقّق من دون أن يقوم على التّكرار الذي "يساعد على قوّة الوضوح السّمعي ... وهذا الوضوح في الإسماع والقوّة في النّطق يجعل كلمة القافية منبورة نبراً دلاليّاً يهدف إلى إظهار هذه الكلمة بذاتها في البيت لتعلّق غرض بها"[28] فهو تكرار يوائم بين الإيقاع والدّلالة ، فلا ينبغي أن يؤدّي التّكرار وظيفة صوتية بعيداً عن الوظيفة الدّلالية التي يريد الشّاعر أن يوصلَها إلى القارئ ، ولذلك يمكن القول: **إنّ** للقافية وظيفتين" الوظيفة الإيقاعية بما توفّره من تكرار عنصر صوتي معيّن يعمل على استدعاء مشابهاته من المفردات والأخرى دلالية بسلك هذه المفردات في نظام الجملة من جانب والعمل على استقطاب أكبر قدر من التّركيز الدّلالي "[29] إذ تشكّل القافية نقطة الارتكاز الإيقاعي والدّلالي معاً بما يحمّلها الشّاعر من شحناتٍ صوتيّة ينقل بها ما يريد التّعبير عنه من أفكار ومشاعر وطاقات إيحائيّة، ومعانٍ تختلج في ذهنه ، ويضاف إلى ما سبق من وظائف القافية أنّها" تحفز الذاكرة والشعرُ كما عرفنا ابن الثّقافة الشّفاهية فهو قول سائر مأثور يحتاج إلى التّذكّر والقافية في الشّعر تمثّل نوعاً من التّكرار والتّكرارُ يساعدُ على التّذكّر" فالشّعر يحفظ بسرعة أكثر من النّثر بما يتميّز عنه من التّكرار والالتزام بالقافية اللذين لهما أثر كبير في سهولة التّذكّر وتمكين الحافظة من استرجاع أبيات القصيدة بيسرٍ ، ومن الممكن أن تكون القافية معياراً تُعرض عليه قدرة الشّاعر فلا ينبغي للقافية أن تمثّلَ " إطاراً شكليّاً غير فاعل بل تؤدّي سلطة ضغطها فعلاً مهمّاً في التّكون التّركيبي للشّعر ، ومجال الضّغط الذي تخلقه هو المضمار الذي تختبر فيه قدرة الشّاعر"[30]الذي

[25] التّكرار الإيقاعي في اللّغة العربيّة، د. سيّد خضر، ص56.
[26] علاقة عروض الشّعر ببنائه النّحوي، د. محمد جمال صقر، مطبعة المدني، القاهرة، ط.1، 2000م، ص 169.
[27] الجملة في الشّعر العربي، د.محمد حماسة عبد اللّطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.1، 1990 م، ص 101.
[28] المرجع نفسه، ص 120.
[29] المرجع نفسه ، ص 131.
[30] شعريّة القافية في الخطاب النقدي القديم ،د. عبد الجبّار السّلامي، مركز الكتاب الأكاديمي ،عمان ، الأردن ، ط.1 ، 2020م ، 120 -121.

يستطيع ببراعته وخبرته أن يعطي القافية وظائف عدّة ويجعلها محوراً تستند إليه باقي العناصر التي تُنتج العمليّة الشّعريّة ، ويستطيع أن يطوّع القيد الذي تفرضه القافية ، فيجعله وسيلةً تعمل "كمحفز ومنبه للغريزة والطّبع لتوسيع فضاء اللغة ويمنح الشّاعر قوّة ودربة في إنتاج وتوليد الاستعمالات والتّراكيب الخارجة عن المعتاد في اللغة غير الشّعريّة فالعمل الإبداعي تحت ضغط الشّكل يعيد تشكيل قابلة الإنتاج اللغوي لدى الشّاعر "[31] فلا بدّ من أن يملك الشّاعر مقدرة لغويّة تمكّنه من معرفة التّصريفات المتعدّدة لبِنية الكلمات ، وما توحي به من معانٍ وظلال معانٍ ، وبذلك يمكنه أن يوفّق بين شكل قصيدته ومضمونها ، ويستطيع أن يتصرّف في ترتيب منظومة الكلمات كما يريد بسهولة وتمكّن ؛لأنّه مقتدرٌ مبدع خبرَ صنعته وأجادَها فأصبحَ لا يتكلّف ويجري قوافيه سلسةً مستساغة ، وهذه المقدرة اللغوية يجب أن ترافقها حاسّة موسيقيّة كامنة في "الألفاظ كأصوات لها دلالات عند الشّاعر"[32]كما يمكن للقيد الذي تفرضه القافية أن يساهم مع الوزن في "ضبط نهايات الأبيات ...فالقافية ترنيمة إيقاعيّة خارجيّة تضيف إلى الرّصيد الوزني طاقة جديدة وتعطيه نبراً وقوّة جرسٍ يصبّ فيها الشّاعر دفقه"[33] ولأنّ القافية تمثّل عنصراً من عناصر الإيقاع الخارجي فهي أكثر العناصر : ظهورا لدى الشّاعر وانكشافاً لناقد شعره ، فأمّا الشّاعر الواعي فإنّه يختار له أبرز عناصر جانبي قصيدته العروضي واللغوي تأثيراً في توصيل رسالتها . وأمّا النّاقد الواعي فإنّه يراعي ذلك في تحليله للقصيدة كما يقع سريعاً على ما يكون في هذا الموضع من ضعف" [34].

أنواع القافية :

تقسم القافية بحسب حرف الروي إلى نوعين:

1. **القافية المطلقة** : يراد بها القافية ذات الرّوي المتحرّك.
2. **القافية المقيّدة** : ويراد بها القافية ذات الرّوي السّاكن.[35]

[31] المرجع نفسه ، ص 169.
[32] لغة الشعر العربي الحديث مقوّماتها الفنيّة وطاقاتها الإبداعيّة ، د. السّعيد الورقي ، دار المعارف ،ط.2، 1983 م ، ص 244.
[33] الإيقاع في الشّعر العربي ، عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد ، دمشق ، ط.1، 1989م ، ص 71.
[34] علاقة عروض الشّعر ببنائه النّحوي ، د.محمد جمال صقر ،ص 158.
[35] معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية ، محمد إبراهيم عبادة، ص 254.

فهو تقسيمٌ يعتمد حركة الروي في آخر البيت ذي الشّطرين ،إذا كان الروي متحركاً فالقافية مطلقة وإذا كان ساكناً فالقافية مقيّدة ،وينظر بعض الباحثين إلى الحركة والسّكون نظرة أعمق وأدق، ويرون ارتباط الحركة والسّكون بإيقاع النص وبدلالته أيضاً" فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، والصّمتُ الذي يأتي عن تمام المعنى جزئيّاً أو كليّاً عن انقطاع النفس أو لأيّ سبب يدعو إلى قصر الوقف يعتبر عكس الحركة تماما فبينه وبين الحركة تنافر" [36].

و تقسم القافية بحسب الحركات إلى:

1. المتكاوس: وهو أن يجتمع أربعة حروف متحركات بعدها ساكن .

2. المتراكب: أن يجتمع ثلاثة حروف متحركة بعدها ساكن.

3. المتدارك: أن يجتمع متحركان بعدهما ساكن.

4. المتواتر: أن يأتي حرف متحرك وبعده ساكن.

5. المترادف: أن يجتمع في آخر البيت ساكنان[37].

القافية في الشّعر الحرّ وفي الموشّحات:

وهذه الأنواع تلازم القافية في القصيدة كلّها في الشعر العمودي ذي الشّطرين ، فتكون القصيدة فيه من نوع واحد "أمّا تنوّع القافية في قصيدة الشّعر الحر فإنّه لا يتبع نظاماً مخصوصاً يمكن توقّعه"[38] ، وسبب هذا أنّ الإيقاع في الشّعر الحرّ لا يتوقّف عند نهاية سطر أو تفعيلة ، بل يبقى مستمرّاً إلى نقطة الوقف الوحيدة ، وموسيقا الشعر الحرّ "تريد أن تؤدّي القصيدة كلّها حركة نغمية دائبة دائمة لا يقرّ لها قرار منذ البداءة الوحيدة إلا في النهاية الوحيدة ولذلك خرجت الأبيات غير متشابهة الخصائص العروضية ولن تظهر تلك الحركة إذا اطمأنّ الوقف على آخر كل بيت "[39]،وهذا لا يعني أنّ القافية في الشعر الحر لا تحكمها أية ضوابط ؛بل لابدّ من تكرار بعض العناصر الصوتيّة في نهاية الجمل الشعرية الذي يعمل الوقف الإيقاعي فيها على " ضبط الإيقاع

---

[36] اللغة العربية معناها ومبناها ،د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدّار البيضاء ، 1994م، ص 270 -271.

[37] القوافي ، أبو يعلى التنوخي ، تحقيق د.عوني عبد الرّؤوف ، ص 68 وما بعدها. وينظر:

ـ الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط.3، 1994م ، ص146.

ـ مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السّكاكي ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط.1، 2000م ، ص690 وما بعدها .

[38] الجملة في الشعر العربي ، د. حماسة عبد اللطيف ، ص 142.

[39] علاقة عروض الشعر ببنائه النحوي، د.محمد جمال صقر، ص 169.

وانسجام النّغم إذ أنّ هذه الأصوات التي تتكرر في نهايات الأبيات أو الأسطر الشعرية أو الجمل الشعرية تشكّل عنصراً مهمّاً من موسيقا النص الشعري ، فهذا الإيقاع الذي تحدثه القافية من خلال التّكرار والتّوقع يكون بمثابة تنظيم استجابات النّفس على نمط معيّن متتابع الحركات والسّكنات"[40] . والتجديد الذي عوّلَ عليه النّقّاد هو التّجديد في الموشّحات ، وقد عدّوه تجديداً جذريّاً ، وتمثّل التجديد في الأندلس بالوقف بالإسكان ، ثم انتقل إلى البلاد العربية الأخرى ، وكان مرافقاً للإيقاع في الغناء ، وبذلك كثر استعمال تقييد القافية في الشعر الجديد [41] ويُعدُّ التجديد في الموشحات الأندلسية تجديداً ناجحاً للقوافي ؛ فبعد أن تحرّر الوشّاحون في بحور كثيرة لم يكن العرب يعرفونها سابقاً لجؤوا إلى تحطيم نظام القافية ، وأدخلوا إليها نُظماً جديدة مثل المخمّسات والمسدسات ، وهي نظم تعتمد على المقاطع الشّعرية بدلاً من البيت ، وهم بذلك فرضوا على أنفسهم نظاماً آخر قد يكون أكثر تقييداً من الالتزام بالقافية الواحدة في الشعر ذي الشّطرين"[42] فهذه النّظم ألزمت الوشّاحين بقواعد وقوالب أكثر من قوانين الوزن والقافية في الشعر ذي الشّطرين.

عيوب القافية :

عاب النّقاد أن تحقّق القافية وظيفتَها الإيقاعية من دون أن يكون لها وظيفة دلالية تفيد في استكمال المعنى ، فإذا غابت الوظيفة الدلالية أصبحت القافية متكلّفة لإقامة الوزن فقط ، ومن عيوب هذا التكلف " أن يؤتى بالقافية لأن تكون نظيرة لأخواتها في السّجع لا لأنها فائدة في معنى البيت "[43] أما القافية التي تأتي متمّمة للمعنى مألوفة في الآذان فهي من براعة الشاعر المُجيد الذي " تكون القافية عنده طبيعيّة غير متكلّفة يتطلّبها المعنى " [44] ، فالشاعر الناجح يستطيع أن يخضعَ القافية للمعنى مستعيناً بما يحفظه من مفردات لغويّة محقّقاً بذلك الجمالية التي "تكون بتحرّكه من دون تكلّف داخل إطار ضغط القافية و إنتاج نص لا تظهر عليه ملامح تلك الضّرورة "[45] كما يستطيع الشاعر المُجيد أن يريكَ في صدر بيته عجزَه ، فترى البيت مترابط الأجزاء ،

[40] الوظيفة الدلالية ، الإيقاعية لقافية الجملة الشعرية ، أحمد بسعود ، إبراهيم فضالة ، جامعة البليدة ، المدونة ، المجلد 7 ، العدد 1 ، 2020 م ، ص 273.

[41] علاقة عروض الشعر ببنائه النحوي ، د. محمد جمال صقر ، ص 167.

[42] بدايات الشعر العربي بين الكمّ والكيف ، د. محمد عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط.2، 2005م ، ص 196 - 197.

[43] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحيق محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص 210

[44] التكرار الإيقاعي في اللغة العربية ، د.سيد خضر ،ص 57.

[45] شعرية القافية في الخطاب النقدي القديم ، د. عبد الجبار السلامي ، ص 120.

تحكمه بنية عميقة تؤلّف بين عناصره ، فالمختار من القوافي " ما كان متمكّناً يدلّ الكلام عليه وإذا أنشد صدر البيت عرفتَ قافيته"[46] ويمكننا القول : إنّ عيب القافية المتكلّفة قد يخفى على القارئ ، ويظهر أمام النقاد بنسبٍ متفاوتة ؛ لأنه تذوقيٌّ جماليٌّ[47].

القافية في مسرحيّات قلائد الوفاء والفداء :

تمثّل القافية نقطة الارتكاز الإيقاعي في نهاية الأبيات أو الأسطر الشّعرية ، ولكن لا ينبغي فصل القافية عن السّياق ، أو عن باقي عناصر الإيقاع التي تسهمُ معاً في إثراء موسيقا النّصّ ، ويتجلّى دورُ القافية الموسيقيُّ واضحاً عندما تكون متجانسةً مع القوافي الأخرى أو مع الحشوِ ؛ ليحسن الإيقاع في أذن السّامع ، ولذلك كان البحثُ دراسةً للقافية التي تضمّ الجناس ، عدا شواهد قليلة خلتْ فيها نماذجُ القافية من الجناس .

ومن أمثلةِ القوافي التي كانت متجانسةً فأسهمَتْ في ضبط إيقاع النّص ما جاء في المسرحية الرّابعة ، الفصل الثالث :

ليونسكي : لم تُخفِ النّيةَ "هِرْتِزِلُ"

بل صرح تصريحاً يجلو..

---

[46] سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط.1، 1932 م ، ص 171.

[47] أمّا عيوب القافية الباقية فهي واضحة أمام القراء جميعاً ، ومعروفة ظاهرة في كتب النّقّاد فقد اتّفقوا على ذكر بعض عيوب القافية الشّاملة لكلّ عصرٍ وفي كلّ شعر ذي شطرين، ومن أشهر تلك العيوب :

1. **الإقواء:** اختلاف إعراب القافية فيكون بعضها مرفوعاً وبعضها مجروراً وهذا يوجد في أشعار العرب

2. الإيطاء : أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة وأمثال ذلك كثيرة ، فأمّا أن يكون معنى القافيتين مختلفاً ولفظهما واحداً فذلك ليس عيباً وإذا بعُد ما بين القافيتين المتكررتين في القصيدة كان أصلح" [47] ، أما العيب فهو أن تتكرر الكلمة في القافية بلفظها ومعناها بعد بيتين إلى سبعة أبيات

3. **التّضمين** : أن يكون المعنى مجزأً بين بيتين ، فلا يستقلّ البيت بمعناه

4. **السّناد** : اختلاف ما يراعى قبل الرّوي من الحروف والحركات . وهو أنواع ، منها:

أ . **سناد الرّدف:** وجود ردف في بيت، وتركه في بيت آخر.

ب . **سناد التّأسيس** : أن يوجد حرف تأسيس في بيت ، ولا يوجد في آخر ، مثل : أسلمي . العالمِ. ينظر : دراسات في العروض والقافية ، عبد الله درويش ، ص 118.119.120.

ما كان يبيتُ من طمعٍ
في أرضِ التّركِ ولا يألو..
جهداً ، فيصوّر ما ينتابُ يهودَ
فيسرفُ، بل يغلو
ليهجّرهم من أوروبا
فالعيشُ بتركيا يحلو [48]

جاء الجناس في نهايات الأبيات الشّعرية المتتالية ، وتكرّر أربع مرات (يجلو . يألو . يغلو . يحلو) وهي كلمات شكّلت القافية أيضا ، وفي هذا المقطع الشّعري مثّلت القافية مع الجناس نقطةً موسيقيّة يستندُ إليها الإيقاع في نهاية كلّ بيت شعري ؛ليتمّ الرّبط الإيقاعي بين أبياتٍ متوالية عدّة ، ممّا حقّقَ جرساً موسيقيّاً تنتبهُ إليه أذن السّامع ، وهذه القافية (يجلو ،يألو ...) من النّوع المتواتر الذي تتكوّن نهايةُ القافية فيه من متحرّك فساكن : يَجْلُو: /0/0 ، لو: /0، وهذا يعني أنّ السكون الأخير في القافية لا يفصلُ بينه وبين السّاكن الذي قبلَه إلا حرف متحرّك واحد ، وذلك أعطى هدوءاً إيقاعيّاً في نهايات الأسطر ؛لتشابه الانفعالات في المقطع كاملاً.

ويلاحظ في المقطع الشّعري السّابق أنّ الجناس جاء على لسان متحاورٍ واحد (ليونسكي) ، جاء ضابطاً لكلام متحاور واحد ، رابطاً بين أجزاء حديثه ؛لأنّه كان في قوافٍ متتالية مثّلت إيقاعاً متكرّراً في كلّ الأسطر ؛ لأنّ الدّفقة الشعورية وانفعالات المتكلّم كانت واحدةً في كلامه كلّه ،فلا فائدة من التّلوين الإيقاعي.

إنّ الظاهرة الإيقاعيّة لا يمكن الاستناد إليها إذا جاءت مرة واحدة في النّماذج المدروسة ، لذلك لا بدّ من دراسة مقاطع أخرى جاءت القافية فيها متجانسةً مع القوافي الأخرى، و على لسان متحاور واحد ،فربط بين أجزاء كلامه مثلَ ما جاء في المسرحيّة الخامسة، الفصل الأول:

الجنرال :لم يثرْ غيرك
والأعلامُ عن دربِكَ حادوا
ثمّ بانوا
كيفَ تبدو لي بريئاً

[48] قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، دائرة الثقافة ، الشّارقة ، ط.2018م ، ص 263.

بعدما ذمّكَ أهلوكَ ودانوا[49]

وهي قافيةٌ من النّوع المتواتر :بَانُوا:/0/0 نو:/0 ، ممّا أثرى إيقاع المقطع ؛لأنّه جاء رابطاً بين الأسطر فكان الوزن العروضيّ لـ(حادوا _بانوا _دانوا) وزناً واحداً، والتّكرار الصّوتي في القوافي في نهاياتٍ متتالية ميّز المقطع الشّعريّ بنغمٍ موسيقيّ خاص ؛لأنّ الأذن توقّعته لتكراره ، فمفهوم الجماليّات "لا يتحقّقُ في البيت المفرد أو البيت الذي لا يلتزم مع بقيّة أبيات القصيدة بعلاقة النّسق التّقفوي الموحّد"[50]فلا بدّ من انسجام عناصر الإيقاع ؛لخلق جرسٍ موسيقيّ ،ويلاحظ تناسب الوزن العروضي بين (حادوا) في الحشو وبين (بانوا . دانوا) في القافية: بانوا . دانوا . حادوا :/0/0.

واستطاع المؤلّف أن يجعلَ القافية متكرّرة الأصوات تربط بين أطراف الحوار في المقطع الشّعري ، وذلك عندما جاءت القافية المتجانسة على لسان متحاورين أو أكثر ،كما قيل في المسرحيّة الأولى ، الفصل الأوّل:

عبّود: وجميع الصّحبةِ (للمختار) ذراعٌ تضرب

أو ساعدْ

عبد الله: إنسٌ في السّلم

فإن نفروا للحربِ فأضعفُهم ماردْ

فحذارِ إثارتَهم

يكفيك المكر الخادعُ والواعد

غراتسياني : بالغتَ كثيراً يا "عبّود"

وقلبُكَ من خوفٍ راعدْ

مهما يتقاووا

فسيهوي أقواهُم في فخّي الرّاصدْ[51]

يلاحظ في المقطع الشّعري السّابق ورود القوافي المتجانسة (ساعد . واعد . راعد) على لسان ثلاثة متحاورين (عبّود . عبد الله . غراتسياني) ، مما جعل كلام المتحاورين الثلاثة يمثّل مقطعاً إيقاعيّاً

[49] قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، ص 300
[50] شعرية القافية في الخطاب النّقدي ،د. عبد الجبّار السلامي ، ص 120
[51] قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، ص 15

واحداً منسجم الأجزاء .وهي كلمات انتهت بصوت رويٍّ ساكنٍ مقلقل (صوت الدّال) الذي يُحدثُ نبرة إيقاعيّة عند قلقلته والوقفِ عليه ساكناً مما يضفي اضطراباً موسيقيّاً ، لا سيّما عند وروده في قوافٍ متتالية ، كما يلاحظ وجود نقطة ارتكاز إيقاعية وهي كلمة (راعدْ) ؛لأنها متجانسة مع (ساعد. واعد) ومتجانسة أيضاً مع (راصدْ) ، فكانت كلمة (راعد) محورَ الإيقاع في هذا المقطع الشّعري الذي سار على نظامٍ إيقاعيّ يربطُ بين نهاياته ، ويضبط موسيقاه ؛ لتصبح الكلمات المتجانسة نهايةً لكلامِ كلٍّ من المتحاورين الثلاث ، والقافية هنا من النوع المتواتر :

رَاصِدْ: :/0/0 – صد: /0، زاد هذا النوع من الأثر الإيقاعي للحرف السّاكن في نهاية القافية ؛لقلّة الحروف التي تفصل بينه وبين الساكن قبله (رْاصدْ)

ومن أمثلة القافية المتجانسة في كلام متحاورين عدة قوله في المسرحية الأولى ، الفصل الأول أيضاً :

غراتسياني: قد ننظر فيما تشرطه

كيما نختار الأمثلْ

بادوليو: ما الشّرط الثاني؟

عوض: تدريس الإسلام على الوجه الأكملْ

غراتسياني : سنحاول أن نختار له من يرضي الله

فلا تعجلْ

بادوليو: ما الشّرط الثالث؟

يوسف: دستورٌ يُستوحى من وحيٍ منزلْ

وحديثِ رسول الله

ففيه الأعدل أيضاً والأنبلْ[52]

وهو مقطع شعريّ لأربعة متحاورين (غراتسياني . بادوليو . عوض . يوسف) ،جاءت فيه القافية المتجانسة جناساً ازدواجيّاً (الأمثل . الأكمل . الأنبل) على لسان ثلاثة متحاورين(غراتسياني . عوض . يوسف) ،وهنا أيضاً ربط إيقاعي بين أطراف الحوار الثلاثة ، الحوار الذي هو أساس المسرحيّة ، وبذلك ظهر الترابط بين الشّعر والحوار اللذين يميزان الشعر المسرحي. ويلاحظ أنّ

[52] قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، ص23

الكلمتين (الأمثل . الأكمل) كانتا قافيتين متتاليتين ، ثمّ أتت القافيتان (تعجل . منزل) غير متجانسة مع القوافي الأخرى ثمّ عاد المؤلف إلى القافية (الأنبل) المتجانسة مع القافيتين (الأمثل . الأكمل) جناساً ازدواجيّاً ، وفي هذا الجناس ضبطٌ إيقاعي على مسافاتٍ متباعدة . نسبيّاً. في المقطع الشّعري ،وبهذا يختلف المقطع عن المقاطع السّابقة الذي جاءت فيه القافية المتجانسة متتالية ، والقافية هنا من النّوع المتواتر :

أَمْثَلْ: /0 . ثل: /0، شكل هذا النوع بطئاً إيقاعياً وهدوءاً نغميّا في نهايات الأسطر الشعرية ، وهو مناسب لبعض معاني كلمات المقطع مثل "فلا تعجل" وهذا الإيقاع يوحي بالبطء كما توحي الكلمات بالتّمهّل.

وتأتي القافية المتجانسة في أسطر متتالية أيضاً، وعلى لسان متحاورين عدّة ،في مواضع أخرى ،كالمسرحية الثانية ، الفصل الثاني:

أيوب : لولا ثقتي بالله

هوى عزمي

أو دمّرني الخَوَرُ

والحمّى ترتعُ في جسدي

فمتى تنجابُ وتنحسرُ؟

أقطاي: تنجاب إذا اندحر الأعداءُ

وزال عن الشّعب الخطرُ

وغداً ستبارحُكَ الحمّى

وعلى الإفرنجِ ستنتصرُ[53]

ورد المقطع الشعري السّابق على لسان متحاورَين (أيوب . أقطاي)؛ ليظهر مقطعاً إيقاعيّاً واحداً يعتمد قافية واحدة ؛لكيلا يكون فصل إيقاعي بين كلامي المتحاورين . جاءت القافيتان (الخور . الخطر) متجانستين ، أمّا (تنحسر . ستنتصر) فلم تكونا متجانستين ، ويلاحظ أنّ (الخور . الخطر) وردتا على لسان المتحاورين في قافيتين متتاليتين ، وكانت القافيتان غير المتجانستين بعد القافيتين المتجانستين تِباعاً ، وذلك جعل الإيقاع منتظماً يسيرُ على وتيرة واحدة ؛لأنّ نفس المتحاور (أيوب)

[53] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات ، ص 86 .

كانت هادئةً في بداية الأسطر (لولا ثقتي بالله) ، وفي بداية أسطر المتحاور (أقطاي) عندما قال: (تنجاب إذا اندحر الأعداء) ، أما في باقي الأسطر عند الغضب والحديث عن الحمّى فكانت القافيتان متجانستين (تنحسر _ تنتصر) ؛ليبدأ الإيقاع هادئاً ثمّ يعلو، وذلك في كلام المتحاورين معاً ؛ليظهر تعدّد الانفعالات ،ويلاحظ أنّ الرويّ هنا مطلقٌ متحرّك (الراء المضمومة) على خلاف النّماذج السّابقة ، مما أضفى إيقاعاً متحرّكاً عند الرّويّ ، بل يمتدّ شاملاً المقطع الشّعري كاملاً ، والقافية هنا من النّوع المتراكب :

خَوَرُ : ///0 . خورو: ///0، وهذا النوع أعطى حركة إيقاعيّة تعكسُ أيضاً شعور الغضب في الحديث عن الحمّى.

ووظيفة القافية الدّلاليّة . في المقطع السّابق . لم تُهمل ؛ فلفظ (الخطر) تتطلّبه كلمات الحشو (الأعداء . الحمّى) ، وكلمة الخَور تستدعيها كلمات (هوى . دمّرني) ، إذ لا يمكن أن يُهمل دور القافية الدّلالي في الجملة " بناءً على الوظيفة الشّعريّة التي تؤدّيها للبيت ، أي أنّ الوظيفة الشّعريّة لا تؤدّى على حسابِ الوظيفة الدّلاليّة للجملة "[54] أي لا يمكن أن تأتي القافية متكلّفة منفصلةً عن دلالة الكلمات في الحشو .

وجاءت القافية المتجانسة رابطةً بين كلام متحاورَين في المسرحية الثّانية ، الفصل الرّابع:

شجر الدّرّ: أيّ مجد؟

شعب "دمياط" سيردي..

جيشَه ، إذ ثارَ مشبوبَ التّحدّي

كصقورٍ تقنُصُ البوم

وتمضي في التّصدّي

تقتلُ الوارد

أو تعتقلُ الشّاردَ

من شيبٍ ومردِ

توران: جيش المنصور محصورٌ بسورين

إذا اختار التّعدّي[55]

[54] الجملة في الشّعر العربي ، د.محمّد حماسة عبد اللّطيف ، ص 121.

[55] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات ، ص 124.

ورد الجناس في ثلاث كلمات (التحدّي . التّصدّي . التّعدّي) وشكّلت هذه الكلمات قوافيَ متتالية على لسان متحاورَين(شجر الدّر . توران) ممّا أضفى ضبطاً موسيقيّاً وربطاً إيقاعيّاً بين أجزاء المقطع الشّعري وميّزَ هذا المقطع الشّعري انتهاءُ قوافيه بصوت مدّ (الياء السّاكنة المكسور ما قبلها) ، ومن المعلوم أنّ صوت المدّ يجعلُ صوتَ الإيقاع ممتدّاً مفتوحاً إلى نهاية المقطع.

وزاد من موسيقا القافية في هذا المقطع تناسبُ أصواتها مع نهايات أجزاء المقطع الأخرى مثل(مجد . سيردي) ؛ إذ تنتهي كلّها بصوتِ الدّال المكسورة إمّا بإتباعها بصوت مدّ (سيردي) ، أو بغير صوت مدّ (مجدِ)، والقافية هنا من النّوع المتواتر :

تَحَدّي : //0/0. دي:/0، النوع المتواتر أظهر إيقاعاً مفتوحاً ؛لأنّه لم يُفصَل بين الحرفين السّكانين إلّا بصوت واحد متحرّك.

ثم يستندُ المؤلف إلى القافية المتجانسة في الأفعال المضارعة كما في المسرحية الثّانية ، الفصل الرّابع:

شجر الدّر: لقد وصلَ الأسير
فأيّ بشرى؟
يبشّرنا بها هذا الوصولُ؟
جمال الدّين: يبشّرنا بعيدٍ
كان فيه "صلاح الدّين"
في "الأقصى" يصولُ
وعاد اليوم يشرق من جديد
على الدّنيا سناه
ولا يزولُ[56]

أتت القافية المتجانسة (يصول . يزول) على لسان متحاور واحد (جمال الدّين) ؛فإيقاع الفعل المضارع يوحي بالتّجدّد والحركة والاستمرار ، وهذا ظهر في كلام المتحاور (جمل الدين) فقط ؛لأنّه يتمنّى أن تبقى هذه الأفعال (يصول _ يزول) مستمرّة في كلّ حين ، وشكّلت اللام المضمومة

[56] قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، ص 135.

رويّاً في نهاياتٍ عدّة متتالية، واللّام صوتٌ مجهور متوسّط بين الشّدّة والرّخاوة [57]، أمّا الصّاد فهو صوت رخو مهموس مطبق [58] ويلاحظ اجتماع صوتي (ص ـ ل) في القافية (يصول) ، وهذا حقّق إيقاعاً متلوّناً يرتفع عند الصّاد القويّة المطبقة ثمّ يهدأ عند اللام و(يصول) الكلمة المتجانسة الأولى أمّا الكلمة المتجانسة الثّانية فهي (يزول) وفيها صوت الزّاي الرّخو المجهور [59] وهذا تلوينٌ إيقاعي آخر ؛لأنّ صوت الصّاد مهموس ، وصوت الزّاي مجهور ، وبذلك أصبحت وتيرة الإيقاع في القافية متموّجةً بين صعودٍ وهبوطٍ ، والقافية هنا من النّوع المتواتر أيضاً :

يَصُولُ: //0/0 ـ لو: /0، ختم المقطع بإيقاع مفتوح شكّله هذا النوع المتواتر ، وجاء السّاكن قبل الأخير فيه صوتَ مدّ أيضاً ؛ليؤكّدَ تلك النهاية المفتوحة ، وتبقى هذه الأفعال مستمرّةً أيضاً .

ويلاحظ وجود الفعل المضارع في الحشو أيضاً (يبشّرُنا ـ يشرقُ) ممّا جعل إيقاع الأفعال المضارعة ذات أثر موسيقيّ في المقطع الشّعري كاملاً .

وقد يستندُ المؤلّف إلى أسماء الأعلام ،فيخضعها للوزن ، ويجعلُها في موضعِ القافية ، كما في المسرحيّة الثّالثة ، الفصل الأوّل :

الثاني: ربّما كان واحدٌ فوق "فرعون"
وكان الثّاني على "هامانِ"
الأوّل: إن يكونا رأسيهما
فَلْيُعادا من "فرنسا"
معاً إلى "أسوانِ"
الثّاني: أو لعلّ الرّأسينِ رأسا "أرسطو"
وزميلٍ له من اليونانِ
أو "لويس القدّيس "
خلّف رأساً
و"لروسو" قد كان ذاكَ الثّاني[60]

[57] ينظر :الأصوات اللّغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط.5 ، 1975 م ، ص 64.
[58] المرجع نفسه ، ص 76.
[59] المرجع نفسه ، ص 76.
[60] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات ، ص 152.

استطاع المؤلّف أن يخضعَ أسماء الأعلام (هامان . أسوان) إلى الوزن من دون أن يستخدم ضرورة شعريّة أو يغيّر لفظ اسم العلم، كما استطاع أن يوائم بين أسماء الأعلام وبين بعض أصوات القوافي الأخرى (الثاني) من دون أن يُشعر القارئ بتكلّف القافية أو استثقالها في السّمع ، ولا ننسى أسماء الأعلام التي وردت في الحشو (فرعون . أرسطو . لويس . روسو) ،وهي خاضعة للوزن أيضاً ، لكنّ إيقاع الأسماء في القافية كان أظهر وأوضح لأنّها شكّلت نقطة النّهاية. والقافية هنا من النّوع المتواتر :

هَامَانِ:/0/0/0 . ني :/0، كلمة (هامانِ) : (هاماني) جاءت مقسّمةً ثلاثة أقسام متساوية عروضيّاً : ها: /0 ، ما :/0، ني:/0، وهذا ضبطٌ إيقاعيّ أكّده النّوع المتواتر للقافية.

والرّوي صوت النّون المكسورة ، والنّون صوت مجهور متوسّط بين الشدّة والرّخاوة [61]، إنّ النّوع المتواتر من القوافي وصوت النّون المتوسّط يطيلان زمن نطق الكلمات قليلاً ، ممّا يشكّل إيقاعاً بطيئاً لاسيّما عند ورود صوت المدّ في نهاية القافية بعد إشباع صوت الرّوي(هامان : هاماني). وكان للقافية المتجانسة مع أسماء الأعلام الأعجمية في الحشو وظيفةٌ موسيقية ، ومثال ذلك ما جاء في المسرحية الرّابعة ،الفصل الثالث:

الحارس: مولاي

أتاك "ليونسكي"

يتنكّر في زيّ النسكِ

يستأذنُ منكَ

أأدخله؟

السلطان: أدخلْه لنسمع ما يحكي [62]

وهذا مقطع شعري لمتحاورَين جاءت فيه القافية (النسك) متجانسة مع الاسم الأعجمي (ليونسكي) على لسان متحاور واحد (الحارس) ممّا أَضفى ربطاً إيقاعيّاً بين القافية والحشو ، ومن الطّرافة أنّ المؤلف جانس بين كلمة عربيّة (النسك) وكلمة أعجمية (ليونسكي) فاستطاع أن يخضع الأسماء الأعجمية للوزن ، وجعل لها وظيفة إيقاعية تعزّز دور القافية الموسيقي، ويلاحظ كثرة الأصوات الهامسة في القافية (س . ك . ح) وفي الحشو أيضاً (ت . ك . س . خ . هـ) فكان الإيقاع بطيئاً

[61] الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص 66.

[62] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات، ص 253.

في المقطع الشّعري كلّه وزاد من بطئه ورود صوت المدّ (الياء) بعد حرف الرّوي في القافية (يحكي) وهي قافية من النّوع المتواتر أيضاً :

يَحْكِيْ: /0/0–كي:/0، تناسب إيقاعيّ بين النوع المتواتر للقافية وبين أصوات القافية المهموسة (ح _ك) فكأنّ الكلام الذي أراد أن يسمعه السّلطان ينبغي أن يُحكى بصوت هامسٍ هادئ.

كما أتى الرّويّ منتهياً بصوت المدّ في المسرحية الثّانية، الفصل الثّاني، وجاءت فيه القافية متجانسةً مع كلمة في الحشو:

الشاب: إنّهم سبعون ألفا

قيل: بل تسعون

إن أحصيْتَ من رابط خلفا

ثمّ يأتونك صفّاً

زاحفاً يعقبُ صفّا

في سفينٍ تملأ البحر

أعاصير وعصفا[63]

أتت القافية (خلفا) متجانسة مع كلمةٍ في الحشو (ألفا) ثمّ كانت القافية التّالية لها (صفّا) تكرارا صوتيّاً لكلمة (صفّا) في الحشو، وهو ما أضفى انسجاماً إيقاعيّاً يربطُ بين كلمات المقطع الشّعري في الحشو والقافية، ولِصوتِ إيقاع القافية أثرٌ أعمقُ من أصوات الحشو في أذن السّامع وكان الإيقاع في المقطع السّابق منتظماً؛ لتجانس القافية وانسجامها مع أصوات الحشو، وهي قافية من النّوع المتواتر؛ لأنّها تنتهي بصوت متحرّك ثمّ ساكن:

خَلْفَا: /0/0 . فا: /0 ،والفاء صوت مهموس رخو [64]، والأصوات الرّخوة تحتاج إلى زمن في نطقها أكثر من الأصوات الشّديدة ،وزاد في بطء الإيقاع انتهاء الرّويّ بصوت المدّ (الألف) فكانت القوافي (خلفا . صفّا . عصفا) ممّا جعل الإيقاع مفتوحاً لا يتوقّف في نهاية المقطع لا سيّما أنّ الشاعر لم يفصل بين الحرفين السّاكنين (اللام والألف) في (خلفا) إلا بحرف واحد.

[63] قلائد الوفاء والفداء د.غازي طليمات ، ص 89

[64] الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص 46.

واستطاع المؤلّف أن يستعمل بعض الأصوات المستثقلة في القافية المتجانسة، ويكرّرها في الحشو، كصوت الضّاد في المسرحية الثّالثة، الفصل الثّاني:

سليمان الحلبي: لا يبالون "بنابليون"

بل يسقونه الذلّ ذهاباً وإيابا

محمد: وبنو عثمان" ؟

سليمان: جيرانٌ لنا: بحراً وأنهاراً وأرضا

ثمّ إخوانٌ لنا: ديناً وتاريخاً وعرضا

جعلوا من ثورة الغزوِ لردّ الغزو فرضا

عبد الله: ما الذي يفعله "أحمد آغا" في "حلب"

سليمان: يجمع الأجنادَ والأمدادَ

من عربٍ وتركٍ وجلَبْ[65]

استعمل المؤلّف صوت الضاد في الكلمات المتجانسة (أرضا . عرضا . فرضا) وكانت هذه الكلمات متوزّعة بين القافية والحشو ، وبذلك ظهر الانسجام الإيقاعي واضحاً بالرّبط بين إيقاع القافية والحشو واستطاع المؤلّف أن يجعلَ صوت الضّاد المستثقل رويّاً في قافيتين متتاليتين (أرضا . فرضا) ثمّ انتقل إلى قافية أخرى تنتهي بصوت الباء السّاكنة (جَلَبْ) وهذا يشكّلُ سمةً أساسيّة من سمات إيقاع الشّعر المسرحي الذي لا يلتزم فيه الشّاعر قافية واحدة ، والقافية (جلب) متجانسة مع كلمة (حلب) في الحشو ، وتنتهي الكلمتان بصوت الباء المقلقة التي تحدث اضطراباً إيقاعيّا عند الوقف عليها.

ويمتاز المقطع الشّعري السّابق بورود جناسين: الأول (أرضا . عرضا . فرضا) والثاني (حلب . جلب) ، والقافية الأولى (فرضا) من النّوع المتواتر :

فَرْضَا:/0/0 . ضَا: /0. والقافية الثّانية (وَجَلَبْ) من النّوع المتراكب: وَجَلَبْ: ///0، اختلف صوت الرّوي (ض) و (ب) كما اختلف نوع القافية ؛ لأنّ المقطع الثاني (ما الذي يفعله...جلب) ابتدأ بسؤال يشي ببداية الحديث عن شيء جديد مختلف عن المقطع السابق.

كما اتّفقت أصوات القافية مع أصواتٍ من الحشو في المسرحية الثالثة، الفصل الرّابع:

[65] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات، ص161.

الرئيس: ولماذا تتمنّى ما تمنّيت؟

مصطفى: لتقدير "سليمانَ"

وتوقير بلائِهْ

علّني أحظى بحظٍّ من وفائِهْ

ولكي أُحشرَ في ظلِّ ردائِهْ

يوم لا ظلَّ لإنسانٍ سوى ظلّ عطائِهْ[66]

يلاحظ في المقطع السّابق اتّفاق بعض أصوات القافية (بلائه . ردائه) مع الحشو (وفائه) ثمّ انتهى المقطع الشّعري بكلمة (عطائه) التي جاءت في منتصف السطر بدلاً من نهايته، وهذا الانسجام الصّوتي أثرى إيقاع القافية ووظيفتها في ضبط نهاية الإيقاع؛ لأنّها نقطة ارتكازه، وانتهاء القافية بهاء ساكنة أعطى نبرةً إيقاعيّة عند الوقف تشعر بها أذن السّامع، وهي قافية من النّوع المتواتر أيضاً :

ردَائِه: //0/0 . ئِهْ:/0، إيقاع بطيء متشكّل من صوت الهمس السّاكن (هْ) ،ومن النّوع المتواتر للقافية ، وذلك سمح للمحاور (مصطفى) أن يعبّر عن مكنونات نفسه من دون أن يسرعَ، ولذلك انتهت القوافي بصوت هامسٍ ساكنٍ يصنع مجالاً لتفريغ زفرات النفس وتفريغ مكنوناتها.

ويلاحظ تكرار أصوات القافية في الحشو في المسرحيّة الرّابعة، الفصل الثّاني، يقول المؤلّف :

السلطان: ما لِمَدحي دُعيتما

بل لُنصحي

فانصَحا تُمنَحا

رِضى الخلّاقِ

إنّني مرهَقٌ بهمٍّ ثقيلٍ

فَعِظاني

تخفّفا إرهاقي

عبد الرّحمن الكيلاني: ما الذّي يرهقُ الخليفة؟

السّلطان: أرضٌ

[66] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات، ص 187.

تترامى بنا مدى الآفاقِ[67]

تكرّرت بعض أصوات القافية (إرهاقي) في الحشو (مرهقٌ . يرهق)، فكانت القافية نقطة الارتكاز التي صدر عنها الإيقاع موزّعاً بين كلمات المقطع الشّعري، رابطاً بين أقوال المتحاورَين (السلطان . عبد الرّحمن الكيلاني)؛ لورود الكلمات (إرهاقي . مرهق) على لسان (السلطان) وورود كلمة (يرهق) على لسان (عبد الرحمن الكيلاني). واختلاف صيغ (يرهق . مرهق . إرهاقي) بين الفعل والاسم أدّى إلى التّنويع الإيقاعي في المقطع، وهذا يدلّ على حسن استعمال المؤلّف للاشتقاقات الصّرفية، والقافية هنا من النّوع المتواتر:

إرْهاقي: /0/0/0 . قي:/0، الكلمة (إرهاقي) قسمت ثلاثة أقسام متساوية الوزن العروضيّ :

إرْ:/0،ها:/0، قي: /0، مما شكّل تناسباً إيقاعيّاً وضبطَ نغم نهايات الأسطر في المقطع.

وتكرّرت بعض أصوات القافية مع الحشو في المسرحيّة الرّابعة، الفصل الرّابع:

الملتحي: مِن يتامى تشرّدوا

وأيامى

في بلادِ الفرنجِ

عاماً فعاما

أحملُ الشّكر للسّلاطين طُرّاً

و" لِعبدِ الحميدِ" أجثو احتراما

الوافد الثّاني: صدره الرّحب

صانهم من ضياعٍ

وحباهُم بين الرّعايا مُقاما[68]

تكرّر صوت (الميم) وبعد صوت المدّ (الألف) في القافية (فعاما . احتراما . مقاما) وفي الحشو أيضاً (يتامى . أيامى) ، وهذا ضبطٌ للإيقاع وربطٌ بين عناصره في المقطع الشّعري ،وهذه الكلمات قيلَت على لسان متحاورٍ واحد (الملتحي) ، أمّا القافية (مُقاما) فقيلتْ على لسان المتحاور الثّاني (الوافد الثّاني) ،استمرّ الإيقاع والدفقة الشّعوريّة رابطَين بين كلام المتحاورَين معاً ،فلمْ يشعر القارئ بفصلٍ بين نهاية كلام المتحاور الأول وبين بداية كلام المتحاور الثاني ، وقد يتميّز هذا المقطع

[67] قلائد الوفاء والفداء ، د.غازي طليمات ، ص235.

[68] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات، ص 275 - 276.

الشّعري من المقاطع الأخرى بورود الكلمة . التي تكرّرت بعض أصواتها مع القافية . في بداية السّطر الأوّل . تقريباً . و أمّا في المقاطع السّابقة فكان التّكرار بين أصوات القافية وأصوات الحشو التي تنتهي بها السّطور الشّعريّة ، والقافية في هذا المقطع من النّوع المتواتر :

فَعَامَا: //0/0 . ما:/0، نهاية إيقاعيّة مفتوحة ،شكّلها صوت المدّ المتكرّر (اْ) الذي لم يفصل بينه وبين السّاكن قبله إلّا صوت متحرّك واحد (مَ).

وقد تأتي القافية المتجانسة مع كلمة في نهاية السّطر الأوّل من المقطع الشّعري، كما في المسرحيّة الخامسة، الفصل الثّاني:

الكومندان: تُهمتي الأولى يقينٌ لا افتراضْ
تهمتي أنّ "هنانو"
رافضٌ حكمَ "فرنسا"
وجميعُ الشعب راضْ
لمْ يقابلْنا الجماهير برفضٍ
أو نفورٍ وامتعاضْ
تؤثرُ السّلم على الثّورة
لا تبدي لنا أدنى اعتراضْ
فتح الله: إنّ زأرَ الشعب في جلستنا الأولى
اعتراضٌ وانتفاضْ
وهو ينفي عن "هنانو"
كلَّ شكٍّ واتهامْ[69]

تجانست القافية (اعتراض) مع (افتراض) وهما كلمتان متباعدتان في المقطع الشّعري، بينهما عدّة سطور شعريّة ، ينظر القارئ إلى الكلمة الأولى (افتراض) ثمّ يتابع القراءة وقد غابت عن ذهنه هذه الكلمة ثمّ يعود فينظر إلى الكلمة المتجانسة معها (اعتراض) ، وكأنّ الشاعر أراد أن يذكّر القارئ بهذه الأصوات ، وقد يكون الفصل بين الكلمتين بسبب استثقال صوت الضاد ، الذي لا تألفه الأذن إذا جاء متكررا بنسب متقاربة .وتجانست أيضاً مع كلمة (راضْ)، ثمّ تكرّرت أصوات

[69] قلائد الوفاء والفداء، د. غازي طليمات، ص 319 - 320.

القافية (اعتراضْ) في الحشو في السّطر الأخير من المقطع الشّعري (اعتراضٌ) فكأنّ الشّاعر أراد أن يؤكّد معنى الاعتراض، فجعله نقطة الارتكاز الإيقاعي والدّلالي، لا سيّما عندما اختاره قافيةً، والقوافي في هذا المقطع من النّوع المترادف؛ لأنّها انتهت بصوتين ساكنين:

وانتفاضْ: /0//00– اضْ:00، زاد استثقال صوت الضاد عندما أتى ساكناً بعد صوتٍ ساكن ، وهو استثقال مناسب لمعاني بعض الكلمات (امتعاض _ رفض)، وهو استثقال قلّ في هذه المسرحيّات لكنّه موجودٌ في بعض المقاطع الشّعريّة.

النتائج:

. أثّرت القافية في ربط الإيقاع وضبطه؛ لأنها . في بعض المقاطع . كانت واحدةً في كلام متحاورَين عدّة، أو لشمولها على ضمير يعود على كلمةٍ في بداية المقطع الشّعري.

. إنّ وجود بعض الكلمات المتجانسة في القافية زاد من أثرها الإيقاعي الذي أطرب أذن السّامع، لاسيّما عندما كان الجناس على لسان أكثر من متحاور.

. كانت القافية . غالباً . متمّمةً لما قبلَها من معانٍ، فجاء الكلام في الحشو مستدعياً لها لا العكس.

. تنوّعت القافية بين الفعل والاسم في بعض فصول المسرحية؛ مما أضفى على الحوار إيقاعاً متلوّناً.

. استُعمِلت أصوات الهمس في بعض القوافي، فخلقت إيقاعاً هادئاً متباطئاً، لاسيّما عندما كانت ساكنة.

. جعلت القافية المقيّدة الإيقاع مضطرباً، وذلك لوجود النّبرة الإيقاعية في هذه القافية، خاصّةً عندما كان الرّويُّ صوتاً مقلقَلاً.

. نوّع الشّاعر في حرف الرّدف [70]في القافية تنويعاً عفويّاً مقبولاً عند النّقاد والشّعراء.

. وظّف الشاعر الألفاظ الأعجميّة توظيفاً إيقاعيّاً جيّداً؛ لأنّه أخضعها لنظام القافية فلم يخرج عليه.

. تنوّعت القوافي في الفصل الواحد من المسرحيّة؛ فكان الشّاعر ينتقل من مقطعٍ إلى آخر فيلوّن في القافية ويغيّرها، وهو تنوّعٌ . في أغلب المواضع . ينسجم مع المعنى.

[70] الردف: حرف لين سابق على الروي ليس بينهما حائل فلا يجوز أن يفصل بينهما بحرف. المناهل الصافية في علم العروض والقافية ، محمد الخطيب العمري ، تح عبد الله الظاهر وعبد الله الحياني ، دار نون للطباعة والنشر ، العراق ، ط.1، 264.

قائمة المصادر والمراجع :

1. الأصوات اللغويّة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط. 5 ، 1975م.
2. إيقاع الشّعر العربي في الشعر البيتي ، الشعر الحر ، قصيدة النّثر ،د. نعمان متولي ، دار العلم والإيمان ، دسوق ، 2013م.
3. الإيقاع في الشعر العربي ، عبد الرحمن آلوجي ، دار الحصاد ، دمشق ، ط.1 ، 1989 م.
4 . إيقاع المعنى معنى الإيقاع ، محمد الصّالحي ، مجلة علامات ، المغرب ،
5. بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف ، د. محمد عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط.2 ، 2005 م.
6. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، التراث العربي ، الكويت ، ط.1 ، 2001 م.
7. التّكرار الإيقاعي في اللغة العربيّة ، د.سيد خضر ، دار الهدى ،بيلا ، كفر الشيخ ، ط.1 ، 1998 م .
8. الجملة في الشّعر العربي ، د. محمد حماسة عبد اللّطيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.1 ، 1990 م.
9. دراسات في العروض والقافية ، د. عبد الله درويش ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط.3 ، 1987م.
10. دراسات في النّقد المسرحي والأدب المقارن ، دار الشّروق ، عمّان ، ط.1 ، 1994 م.
11. سرّ الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط.1 ، 1932 م.
12. شرح الخلاصة الوافية في علمي العروض والقافية ، إسماعيل الإسلامبولي ، المطبعة العربية ، مصر ، 1982م .
13. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة ، د. عز الدّين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط. 3 ، د.ت .
14. شعرية القافية في الخطاب النّقدي القديم ، د. عبد الجبار السلامي ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمّان ، ط.1 ، 2020م.

15. علاقة عروض الشّعر ببنائه النّحوي ، د.محمد جمال صقر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط.1، 2000م.
16. القافية تاج الإيقاع الشّعري ، د. أحمد كشك ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، د.ط ،1983م.
17. القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط.8، 2005 م.
18. قلائد الوفاء والفداء ، د. غازي طليمات ، دائرة الثقافة ، الشّارقة ، ط.1، 2018م.
19. القوافي ، أبو الحسن الأخفش ، تحقيق أحمد راتب النّفّاخ ، دار القلم ، بيروت ، ط.1 ، 1974 م.
20. القوافي ، أبو يعلى التّنّوخي ، تحقيق د. عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.2 ، 1978 م.
21 . الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التّبريزي ، تحقيق الحسّاني حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.3 ، 1994م.
22. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ،بيروت ، د.ط ، د.ت.
23. لغة الشعر العربي الحديث مقوّماتها الفنيّة وطاقاتها الإبداعيّة ، د.السّعيد الورقي، دار المعارف ، ط.2 ، 1983م.
24. اللغة العربيّة معناها ومبناها ،د. تمّام حسّان ،دار الثّقافة ، الدار البيضاء ، د.ط ، 1994م.
25. معجم مصطلحات النحو والعروض والقافية ، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط.1 ، 2011م .
26. المعجم الوسيط ، مكتبة الشّروق الدولية ، مصر ، ط.4 ، 2004 م.
27. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السّكّاكي ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط.1 ، 2000م.
28. مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السّلام هارون ، دار الفكر ، د.ط ، د.ت .
29. المنزع البديع ،في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السّجلماسي ، تحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرّباط ، ط.1، 1980م.
30 . الموسيقا الشّعرية ، د.صلاح عبد الحافظ ، دائرة المعارف ، القاهرة، ط. 2، 1995م.

31. نقد الشّعر ، قدامة بن جعفر، تحقيق د. عبد المنعم الخفاجي ، دارا لكتب العلميّة ، بيروت، د.ط ،د.ت .

32. معجم النّقد العربي القديم ، د. أحمد مطلوب ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة ، بغداد ، ط.1، 1989م.

33. الوظيفة الدّلالية الإيقاعيّة لقافية الجملة الشّعريّة ، أحمد بسعود ، إبراهيم فضالة ، جامعة البليدة ، المدوّنة ، المجلد 7 ، العدد1 ، 2020م.

List of Sources and references:

Phonetics Structures, Ibrahim Anis, Egyptian Anglo Library, 5th Edition, 1975 AD.

The Rise of Arabic Poetry in Nabati Poetry and Free Verse Poetry, Poem of Publication, Dr. Nu'man Mutawalli, Dar Al-Ilm wal Iman, Damascus, 2013 AD.

The Rise of Arabic Poetry, Abd al-Rahman al-Awji, Dar al-Hamad, Damascus, 1st Edition, 1989 AD.

The Meaningful Sign in the Rise, Muhammad Al-Salihi, Allamat Magazine, Morocco.

The Beginnings of Arabic Poetry Between Quantity and Quality, Dr. Muhammad Awad ibn al-Zarouqi, Library of Literature, Cairo, 1st Edition, 2005 AD.

Jewels of Al-Arous by Al-Zubaidi, by Murtadha Al-Husseini Al-Zubaidi, verified by Abd al-Majid Qamha, Arab Heritage Revival House, 1st Edition, 2010 AD.

Lexical Repetition in Arabic Language, Sayed Khadr, Dar Al-Huda, Bella - Kafr Al-Sheikh, 1st Edition, 1998 AD.

The Sentence in Arabic Poetry, Dr. Muhammad Hamasa Abdul Latif, Al-Khanji Library, Cairo, 1st Edition, 1990 AD.

Studies in Prosody and Rhyme, Dr. Abdullah Darwish, University Student Library, Mecca, 3rd Edition, 1987 AD.

Studies in Comparative Theater Criticism and Literature, Dar Al-Shorouk, Amman, 1st Edition, 1994 AD.

The Secret of Eloquence, Ibn Sinan Al-Khafaji, verified by Ali Fodeh, Al-Khanji Library, Egypt, 1963 AD.

Linguistic and Critical Explanations in Prosody and Rhyme, Ismail Al-Iskandari, Scientific Library, Egypt.

Modern Arabic Poetry and Its Structural and Semantic Manifestations, Dr. Ezz El-Din Ismail, Egyptian General Book Authority.

The Rhetorical and Stylistic Structure of the Poetic Text, Dr. Abdul Jabbar Al-Darraji, Islamic Book Center, Cairo.

The Semantic Structure in Modern Arabic Poetry, Dr. Jamal Sabri Dali, Egyptian General Book Authority, Cairo.

The Rise of Arabic Poetry, Dr. Ahmed Kamal, Faculty of Arts, Cairo University, 1982 AD.

The Unique Necklace, Al-Farazdaq Al-Nabati, verified by Abdul Hameed Al-Tarifi, Al-Risala Foundation, Beirut, 2005 AD.

Loyalty and Loyalty - Analytical Reading of Selected Poems, Dr. Walid Qanawati, Dar Al-Thaqafa, 1st Edition, 2018 AD.

Poetry of Al-Hassan Al-Akhdar, verified by Ahmed Muhammad Al-Shanqiti, Dar Al-Ilm lil-Malayin, 1st Edition, 1970 AD.

Abu Firas Al-Hamdani's Diwan, verified by Izz Al-Din Al-Mansour, Al-Khanji Library, Cairo.

Al-Kamil in Prosody and Rhyme, Al-Husri Al-Baghdadi, verified by Hasan Hani Fahs, Al-Khanji Library, 1st Edition, 1994 AD.

Lisan Al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut, no date.

The Language of Modern Arabic Poetry and Its Semantic and Social Functions, The Poetic Discourse, House of Sciences, 1st Edition, 1983 AD.

The Arabic Language: Its Reality and Issues, Hashem Hassan, Dar Al-Thaqafa, Beirut, 1st Edition, 1994 AD.

Glossary of Grammar and Prosody and Rhyme Terms, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Faculty of Literature, Cairo.

The Intermediate Dictionary, Library of the Arabic Language Academy, Egypt, 4th Edition, 2004 AD.

Keys of Science, Abu Ya'qub Al-Sakkaki, verified by Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, no date.

The Eloquence of Al-Qur'an, Ibn Fares, verified by Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr, no date.

The Stylistic Dispute in the Literary Criticism Method, Dr. Fuad Al-Talib Al-Talibani, verified by Jalal Al-Faqih, Al-Ribat Library, 1st Edition, 1980 AD.

The Art of Rhetoric, Salah Abdul Latif Al-Dabbagh, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1st Edition, 1955 AD.

Explanation of the Poems of Ibn Jinni, verified by Abdul Azim Al-Khafaji, Scientific Book House, Beirut.

The Poetic Image in Arabic Criticism, Dr. Saad Al-Taie, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Baghdad, 1st Edition, 1989 AD.

The Creative Linguistic Vision in the Critical Journal (Theoretical and Applied Study), Ahmed Masoud, Ibrahim Hassan, Al-Madina University, Journal of the College of Arts, Issue 7, Volume 1, 2020 AD .